

الكآبة والهوس في مأساة آياس لسوفوكليس

مريم ويصا واصف

مدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر

mar_hanaa@mans.edu.eg

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى رصد ذلك التحول في فهم المرض بشكل عام والاضطرابات العقلية بشكل خاص في المجتمع الأثيني في القرن الخامس ق.م.، في عصر اتخذ فيه المرض لأول مرة سبباً غير خارق للطبيعة، وبدأت عناصره السحرية والدينية في التضائل. وكيف عكس سوفوكليس في مأساة آياس صورة تلك المفاهيم المعاصرة المتعلقة بالطب في عصره، وخاصة أن الكآبة والهوس اثان من أوائل الأمراض البشرية التي تم وصفها لدى اليونانيين القدماء، فاستخدم المرض العقلي كوسيلة لشرح تصرفات آياس خلال الليلة الأخيرة من حياته، وكذلك نوضح كيفية تكوين الصورة الأدبية للمريض العقلي والتي تختلف بالطبع عن الرؤية العلمية للمرض، وما تبع هذا المرض من أعراض نفسية وجسدية وتحليل لهذه الرؤية الأدبية وفقاً لما أراد أن يجسده الكاتب بداية من الأسباب والأعراض ووصولاً إلى اختراق حدود عقل المريض وفهم ما يدور فيه وما دفعه لإنهاء حياته بيده.

ولرصد وإيضاح هذه الأمور، اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على النصوص القديمة ممثلة في نص مأساة آياس، واتبعت الدراسة المنهج التحليلي، وجاءت في محورين:

المحور الأول:

تصوير سوفوكليس للاضطراب العقلي لدى آياس من خلال تحليل الأحاديث التمهيدية لشخصيات المأساة.

المحور الثاني:

مراحل المرض لدى آياس ومحاولة تتبعها وصولاً للانتحار.

الكلمات الدالة: آياس، سوفوكليس، الكآبة، الهوس، الانتحار.

Melancholia and Mania in Sophocles' Ajax Tragedy

Mariam Wissa Wassef

Lecturer of Classical Studies, Faculty of Arts, Mansoura University, Egypt.

mar_hanaa@mans.edu.eg

Abstract: This study aims to trace the shift in the understanding of illness in general and mental disorders in particular within Athenian society during the 5th century BC—a period in which illness was, for the first time, seen as having non-supernatural causes, and its magical and religious elements began to fade. The research explores how Sophocles, in his tragedy Ajax, reflects these contemporary medical concepts of his time, especially since Melancholia (depression) and Mania were among the earliest human illnesses described by the ancient Greeks. Sophocles used mental illness as a means to explain Ajax's behavior during the final night of his life. The study also illustrates how the literary portrayal of mental illness differs from its scientific understanding, examining the psychological and physical symptoms that accompanied the disorder. It analyzes this literary vision in light of what the author intends to depict—starting from the causes and symptoms, reaching into the depths of the patient's mind to understand what has driven him to end his life by his own hand.

To observe and clarify these aspects, the study primarily relies on ancient texts—most notably the tragedy Ajax—and adopts an analytical methodology. It is divided into two main sections:

First Section:

Sophocles' depiction of Ajax's mental disorder through an analysis of the introductory dialogues of the tragedy's characters.

Second Section:

Tracing the progression of Ajax's illness leading to his suicide.

Keywords: Ajas, Sophocles, Melancholia, Mania, Suicide.

مقدمة:

حددت الاضطرابات العقلية قديماً في ثلاثة أنواع رئيسية: التهاب الدماغ "φρενίτις" الذي يشبه الحمى، الهوس "μανία" هو مزيج من الغضب والنشوة، الكآبة "μελαγχολία"، وقد ارتبطت في تلك الفترة القديمة بالخوارق الطبيعية كسبب للإصابة بها، والتي منها الغضب الإلهي أو الغيرة الإلهية أو العقاب، حتى جاء أبقرات 'Ιπποκράτης' (٤٦٠-٣٨٠ ق.م)، وجاءت معه فكرة السبب العضوي للمرض العقلي، وها هو في كتابه عن المرض المقدس - على سبيل المثال - يرفض الأصل الخارق للأمراض عامة (المرض المقدس، ١٧: ٣-١):

"Εἰδέναι δὲ χρὴ τοὺς ἀνθρώπους, ὅτι ἐξ οὐδενὸς ἡμῖν αἰ ἡδοναὶ γίνονται καὶ εὐφροσύνη καὶ γέλωτες καὶ παιδία ἢ ἐντεῦθεν, καὶ λύπαι καὶ ἀνία καὶ δυσφροσύνη καὶ κλαυθμοί".

"يجب على البشر أن يعلموا أن من الدماغ، ومن الدماغ فقط، تنشأ ملذاتنا وأفراحنا وضحكنا ونكاتنا، وكذلك أحزاننا وآلامنا ودموعنا".

تبني أبقرات ومن بعده الأطباء الأبقراطيين نظرية الأخلاط "χυμοί" لتفسير المرض العقلي، حيث وصف أربعة أخلاط رئيسية توجه الأداء الطبيعي: الدم والصفراء الصفراء والصفراء السوداء والبلغم^٢، ذاهبين إلى أن الاختلال في التوازن بين تلك الأخلاط، يؤدي إلى الإصابة بالاضطرابات العقلية^٣ (الأمراض ٣٠، ١):

"Προσεοίκασι δὲ μάλιστα οἱ ὑπὸ τῆς φρενίτιδος ἐχόμενοι τοῖσι μελαγχολώδεσι κατὰ τὴν παράνοιαν· οἱ τε γὰρ μελαγχολώδεις, ὅταν φθαρῇ τὸ αἷμα ὑπὸ χολῆς καὶ φλέγματος, τὴν νοῦσον ἴσχουσι καὶ παράνοοι γίνονται, ἔνιοι δὲ καὶ μαίνονται· καὶ ἐν τῇ φρενίτιδι ὡσαύτως· οὕτω δὲ ἦσσαν ἢ μανίη τε καὶ ἢ παραφρόνησις γίνεται, ὅσῳ περ ἢ χολῇ τῆς χολῆς ἀσθενεστέρα ἐστίν".

"والمصابون بالتهاب الدماغ يشعرون ببعض هذا، كالمصابين بالاكنتاب؛ بسبب تعكر مزاجهم، واختلاط دمائهم بالصفراء والبلغم، وبعضهم يثور، إلا إن غضبه واضطرابه يكون أقل؛ لأن نسبة الصفراء في حالتهم أضعف مما هي عليه في الحالات الأخرى".

استند أبقرات هنا إلى نظرية الأخلاط الأربعة في تفسيره سر الهوس والكآبة وكلامه عنهما، إلا إن الجمع بين الهوس والاكنتاب قد يشير إلى وصف مرض الاكنتاب الهوسي أو ما وصف حديثاً بالاضطراب ثنائي القطب،

¹ Hippocrates, *Prognostic, Regimen in Acute Diseases, The Sacred Disease, The Art, Breaths, Law, Decorum, Physician (Ch.1), Dentition*, Translated by W. H. S. Jones, Loeb Classical Library 148. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923).

² Christos Tsagkaris & Konstantinos Kalachanis, "The Hippocratic Account of Mental Health: Humors and Human Temperament", *Mental Health: Global Challenges Journal* 3, no.1 (2020): 33-37. DOI:10.32437/mhgcj.v3i1.83.

³ Hippocrates, *On The Sacred Disease*, 17.

⁴ Hippocrates, *Affections, Diseases 1 & Diseases 2*, Translated by Paul Potter, Loeb Classical Library 472, (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988).

حيث استخدم أبقراط عبارة "ἡ μανία τε καὶ ἡ παραφρόνησις" للتعبير عن معنى الغضب والاختلال وهما الأعراض المعروفة لنوبات الهوس في الاضطراب ثنائي القطب¹.

إذ فسر أبقراط أن الاضطرابات العقلية تحدث عندما تكون الأخلاط في حالة عدم التوازن، ويمكن تمييز مزاج الفرد من خلال نوع الأخلاط التي يمتلكها، ومن المفترض أن تتمتع هذه السوائل بتوازن طبيعي فريد لكل شخص، مما يحافظ على صحة الإنسان، وإذا اختل هذا التوازن المحدد، يحدث المرض نتيجة لذلك، إن عملية تشخيص المرض تتألف من اكتشاف أي من الأخلاط قد فقد توازنه سواء تقليل أو زيادة كمياتها بحيث يتم استعادة التوازن²، مثل زيادة الصفراء الصفراء التي تسبب الهياج/الهوس والكثير من الصفراء السوداء التي تسبب الاكتئاب/الكآبة. وقد اعتقد أطباء أبقراط أنه يمكن استعادة هذه التوازنات عن طريق إزالة أو إضافة الأخلاط بعدة طرق مختلفة³.

تعكس مأساة آياس Aΐας لسوفوكليس Σοφοκλής (496-405 ق.م.) تلك المفاهيم المعاصرة المتعلقة بالطب في عصر اتخذ فيه المرض لأول مرة سببًا غير خارق للطبيعة، وبدأت عناصره السحرية والدينية في التضائل⁴. فبظهور أبقراط جاءت معه فكرة السبب العضوي للأمراض العقلية⁵، وقد تم التعبير عن ذلك لأول مرة بشكل صريح في الرسائل المبكرة لمجموعة أبقراط مثل: "حول المرض المقدس"، "طبيعة الإنسان"، و"حول الطب القديم" وغيرها. إن ما أزعجه هنا هو أن التاريخ المبكر الذي قدم فيه سوفوكليس مأساته آياس، بالمقارنة مع أعمال أبقراط هذه، يشير إلى أن مثل هذه الأفكار كانت منتشرة على نطاق واسع بالفعل قبل أن يكتبها أبقراط وأتباعه.

إذ يرجع تاريخ المأساة إلى حوالي عام 441 أو 442 ق.م⁶، أي قبل أكثر من عقد من الزمان من نشر أولى أطروحات أبقراط، فلم يبدأ أبقراط وغيره من الأطباء في استخدام التجارب لدعم نظرياتهم إلا في منتصف القرن

¹ حنان السيد يوسف، سماح السيد راشد، "الهوس بين التراث الطبي القديم والحديث أبقراط وكلسوس أمونجًا"، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، عدد 28 (2023): 345.

² Wolfgang Balzer & Alexandros Eleftheriadis, "A Reconstruction of the Hippocratic Humoral Theory of Health", *Journal for General Philosophy of Science* 22 (1991): 208.

³ Donald Bockler, "Let's Play Doctor: Medical Rounds in Ancient Greece", *The American Biology Teacher*, 60, no.2 (1998): 106.

& Paul Cartledge, *The Cambridge Illustrated History of Ancient Greece*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), 314.

⁴ Vivian Nutton, *Ancient medicine*, (London: Routledge, 1998), 64-5.

& in Hippocrates, *On the Sacred Disease* 1, 1.

⁵ Katalin Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", *Graeco-Latina Brunensia* (2019): 8-9. DOI: <https://doi.org/10.5817/GLB2019-1-1>, (accessed 23, June, 2022), available@ <https://hdl.handle.net/11222.digilib/141155>.

& Nutton, *Ancient medicine*, 79.

⁶ حدد Harsh وكذلك Golder تاريخ المسرحية في 440-445 قبل الميلاد، وقال Watling أن "الشكل العام والأسلوب يضعان مأساة آياس بين الأعمال المبكرة وموقعها في المجموعات القديمة على رأس القائمة، وهذا يشير إلى أنها كانت أقدم مآسي سوفوكليس. انظر:

Philip Whaley Harsh, *A Handbook of Classical Drama*, (Stanford, CA: Stanford University Press, 1944), 91.

Herbert Golder, Peter Burian & Alan Shapiro, *The Complete Sophocles, Introduction, Volume II: Electra and Other Plays*, (Oxford ; New York : Oxford University Press, 2010), 19.

الخامس قبل الميلاد^١. استخدم سوفوكليس موضوع المرض كوسيلة لشرح تصرفات آياس خلال الليلة الأخيرة من حياته، ففي معالجته للأسطورة، كان سوفوكليس مقيّدًا بحقيقتين رئيسيتين، وهما أن بطله آياس شعر بخيبة الأمل إزاء منح أسلحة أخيلئوس إلى منافسه أوديسيوس، والحقيقة الثانية أنه انتحر في اكتتابه. ولكن من المشكوك فيه ما إذا كان الجنون الذي أدى إلى ذبحه للماشية جزءًا من الأسطورة الأصلية؛ لأنه لا يوجد ذكر له في القصة الهوميرية^٢.

ولتفسير حدوث الجنون، فقد جعل سوفوكليس أثينا المنتقمة هي التي خطت لإصابته بذلك، بدلًا من استخدام أي آلية أخرى، لا بد أن سوفوكليس كان يسترشد بمعرفته بمعتقدات جمهوره آنذاك^٣. إلا إن إدخال المرض على أسطورة آياس كان بمثابة دليل على أن المرض كان ضمن الأسباب التي أدت إلى وفاته، مما يصور تحول عام في فهم المرض بشكل عام والاضطرابات العقلية بشكل خاص في المجتمع الأثيني في القرن الخامس ق.م^٤.

Sophocles, *Electra and Other Plays Ajax, Electra, Women of Trachis Philoctetes*, Translated by E. F. Watling, Penguin Classics. no. L28, (London: Penguin, 1953), 7.

¹ Cartledge, *The Cambridge Illustrated History of Ancient Greece*, 312-13.

² George Augustus Auden, "The Madness of Ajax, as conceived by Sophocles Clinically Considered", *British Journal of Psychiatry*, 72, no. 299 (1926): 503 – 512.
DOI: <https://doi.org/10.1192/bjp.72.299.503>.

^٣ كان يُنظر إلى الأمراض عمومًا على أنها آثار لغضب الآلهة، وكان يُعتقد أن شفاء المرضى يعتمد على طاعة الآلهة وإرضائهم.

Michael T.Compton, "The Union of Religion and Health in Ancient Asklepieia", *Journal of Religion & Health* 37, no.4 (1998): 303.

يعتقد وفقًا لما قاله Compton أن فكرة الانفصال بين الدين والعلم "غريبة على الفكر القديم".

Compton, "The Union of Religion and Health in Ancient Asklepieia", 307.

وهذا يعني أن الدين كان لا بد أن يكون له التأثير الرائد على الطب في اليونان القديمة. ويواصل وصف السبب الشائع لحدوث المرض على أنه غضب من الآلهة وإرضاء الآلهة يشفي المرض الذي تسببوا فيه. وتكمن المغالطة في هذه الحجة في حقيقة مفادها أنه بمجرد ظهور أطباء أبقراط، أنكروا فكرة التأثير الديني على المرض، والذي يبدو أن سوفوكليس موافق لهم.

^٤ الجدير بالذكر هنا أن المرض العقلي ظهر في الأعمال الأدبية منذ هوميروس، ولكنه يختلف بين ملاحم هوميروس وشعراء المأساة، حيث يصور هوميروس الجنون في الإلياذة في هيئة التصرفات الحمقاء كما في بعض أفعال المحاربين (الإلياذة ١٩: ٨٧ وما يليه، ٦: ٢٣٢-٦)، ثم نجد هوميروس في الأوديسا بصور الجنون كأى نشاط غريب أو غير عادي أو جامح، ويُعتقد دائمًا أن منسوب للآلهة (الأوديسا ١١: ١٤-٢٣، ٩ : ٤٠٤ وما يليه، ١٤ : ١٧٨ وما يليه).

وقد انتقل تناول المرض العقلي إلى المأساة، إلا إن تناوله المتنوع من قبل كتاب المأساة الثلاثة يُوحى بأرائهم الخاصة بشأن الجنون: فرغم غموض ماهية الجنون عند أيسخيلوس إلا أنه قد يكون مثيّرًا للاهتمام، ويبدو في الغالب نوعًا من الاتصال بالعالم الإلهي (كما في مأساة الصافحات)، كما أن الآلهة كسببٍ مُحدّد للجنون موجود أيضًا عند سوفوكليس، حيث يظل العامل الخارجي لجنون آياس هو الإله، تُقدّم أثينا كمُحفّزٍ خارجي فحسب، بينما تُشير رؤية سوفوكليس النفسية لعالم آياس الداخلي في صراعه مع ظروفه الخارجية إلى الأسباب الحقيقية لجنونه، حيث يُقدّم سوفوكليس تفسيرًا آخر، قائم على فكرة أن الجنون ناتج عن اضطراب في العقل البشري، ويقود الفرد إلى عالم غير موجود إلا في عقله المتأثر.

التقط يوريديس هذه الإشارة وطورها مع الاحتفاظ بالعامل الخارجي للمرض والذي يرجع للآلهة، وذلك في مأساتين منفصلتين "مأساة هرقل مجنونًا ومأساة أوريسيتيس"، حيث صور نوعين مختلفين من الجنون، فأظهر العامل الخارجي على شكل إله، ونوبة الوهم التي تنقل المريض بالجنون إلى عالم لا وجود له إلا في عقله المتأثر، واليأس الانتحاري من الشفاء: كل هذه العناصر حاضرة في مأساة هرقل، وهي مأساة حظيت أوجه التشابه بينها وبين آياس باهتمام أكبر بكثير مما حظيت به مأساة أوريسيتيس.

أولى النقاط التي تلفت انتباه القارئ المتمعن لمآسي سوفوكليس هي تصويره الحي للآلام الجسدية والعقلية التي يمر بها أبطاله، إذ يبدو أنه كان مهتمًا بشكل خاص بمشكلة المعاناة البشرية، سواء في تناوله للصراع العقلي أو الضعف الجسدي، مستهدفًا إثارة تعاطف الجمهور مع المتألم^١. وفي ضوء ذلك، فإن وصف سوفوكليس لجنون آياس يكتسب أهمية خاصة بالنسبة لأولئك الذين يدركون مختلف أنواع الإضطراب العقلي؛ فقد تم تصوير سلوك آياس بمثل هذه البصيرة النفسية التي تجعله يبدو وكأنه يستند إلى تجربة حقيقية للجنون.

تصوير الاضطراب العقلي لدى آياس من خلال تحليل الأحاديث التمهيدية لشخصيات المأساة:

نتناول في هذا البحث دراسة دقيقة تشخيصية لحالة آياس العقلية والنفسية، وتطورها في كافة مراحلها وصولًا إلى الانتحار، ولكن نبدأ أولًا في رصد وتحليل وتمهيد شخصيات المأساة للحالة التي سيظهر عليها آياس قبل ظهوره هو شخصيًا على المسرح؛ رغبة من سوفوكليس في تركيز الجمهور بكل عقله ومشاعره على التحول لذلك البطل الإغريقي الذي يعلمه جيدًا، ولكنه هذه المرة يراه في صورة مختلفة تمامًا عما يعلمه عنه من قبل^٢.

فلنبدأ بالربة أثينا إذ قالت عنه (الأبيات ٥٩-٦٠):

"ἐγὼ δὲ φοιτῶντ' ἄνδρα μανιάσιν νόσοις
ὄτρυνον, εἰσέβαλλον εἰς ἔρκη κακά."

"لقد دفعته بنفسه لذلك وألقيت به وسط

تلك المصائب الجسام أثناء نوبة الجنون التي أصبته بها."

استخدم هنا سوفوكليس "φοιτῶντ'" يدفع للأمام وللخلف، ذهابًا وإيابًا، التجول في اتجاهات مختلفة في صيغة اسم الفاعل المضارع المستمر المبني للمعلوم ويعتبر صفة للاسم "ἄνδρα"، ليشير إلى استمرارية متكررة ومتواصلة

رغم أن مأساة أوريسيتيس تتفق مع آياس أيضًا في نقاط مهمة، حيث نجد أن كليهما لا يقبل التغيير، على عكس هرقل، الذي يأتي شفاؤه النهائي من إدراك التغيير وقبوله. والأكثر إثارة للاهتمام، أن جنونهما يكمن أساسًا في فشلهما في رؤية الأشياء بشكل صحيح. في أوريسيتيس، كما في آياس، يُقدّم التفسير البديل، الأكثر مجازية، لـ"العالم الذي لا وجود له إلا في عقل المجنون". انظر:

Zena Theodorou, "Subject to emotion: exploring madness in Orestes", *Classical Quarterly* 43, no.1 (1993): 32-3.

¹ Auden, "The Madness of Ajax, as conceived by Sophocles Clinically Considered", 503.

^٢ يجب أن يوضع في الاعتبار معرفة الجمهور بآياس البطل الذي يُكرم من الشعب كبطل اعتادوا رؤية تمثاله في السوق بين تماثيل الأبطال العشرة الذين استمدت القبائل الأتيكية أسماءها منهم، هو البطل الذي يصفه سوفوكليس بأنه الرجل العملاق في قامته (البيت ٢٠٦)، الذي يقف دائمًا شامخًا قويا كبرج قوة للجيش اليونانية أمام طروادة.

ويعم Goldhill أن آياس هو آخر أبطال هوميروس، حيث يقدم إعادة للتقاليد البطولية الموروثة.

Simon Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, (New York: Cambridge University Press 1986), 154-155.

³ Sophocles, *Ajax, Electra, Oedipus Tyrannus*, Edited and translated by Hugh Lloyd-Jones, Loeb Classical Library 20, (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994).

^٤ تم الاستعانة في الترجمة بالمرجع التالي: سوفوكليس، *آياس*، ترجمة منيرة كروان، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨).

للحركة في وقت واحد ومن الممكن أن تعني هنا مظهرًا ماديًا للاضطراب النفسي، وعرض من أعراض نوبة الجنون أو الهوس الذي أصابه.

بالإضافة إلى أن استخدام الفعل "ὄτρυνον" يُصيب-يُثير في صيغة الماضي المستمر، ليؤكد أن لم تكن إصابة أثينا لآياس حدثًا لمرة واحدة، بل كان حدثًا مستمرًا، استمر خلال مسار هوس آياس.

أما كلمة "μανιάσιν" جنون/ هوس، فهي كلمة تتكرر أكثر من مرة طوال المأساة، ولكن استخدمها سوفوكليس هنا في صيغة الجمع، ليشير إلى تعدد الجنون الذي ابتلي به آياس والذي سنتناوله بالتفصيل خلال هذا البحث^١.

أيضًا كلمة مرض "νόσοις" والتي تعني المرض الجسدي، والمعاناة الجسدية، نجدها هنا في التعبير "μανιάσιν νόσοις" مرض الجنون/ الهوس يربط سوفوكليس بين الجنون والمرض معبرًا عن أن كافة الأعراض الجسدية التي ستظهر على آياس هي نتيجة لإصابته بالجنون. وهذا يعني أيضًا أنه لا يعاني فقط من غضب إلهي أو مرض عقابي - كما هو معلن كسبب للجنون - ولكنه مريض بالفعل بمرض أثر على جسده لدرجة كبيرة^٢، جعل أثينا تصف مرضه "τήνδε περιφανῆ νόσον" بالمرض البين (البيت ٦٦)، تعبيرًا عن أنه مرض ليس فطريًا أو متأصلًا إنما عارض ووقتي وظاهر لجميع من حوله^٣.

^١ الجنون/ الهوس "μανία" هو لفظ استخدم قديمًا ليعني الجنون وفي كثير من الأحيان ما كان يستخدم أيضًا ليشير إلى الهوس، مما يعني أنه كان مصطلحًا عامًا، يفهم منه ذلك المعنى العام للاضطراب العقلي، لا حالة الحالة المرضية المعروفة بعينها. وكذلك الفعل "μαίνομαι" الذي يشتق من كلمة "μανία" أحد أكثر الأفعال شيوعًا للدلالة على الجنون. وغالبًا ما ارتبط هذا المعنى بكلمة الهوس "μανία" التي تعبر عن حالة من الارتباك الغاضب، أو السلوك واضح الغرابة، فيعرف بأنه حالة من الهذيان بدون حمى؛ لأن إصابة المريض بالحمى معناها أنه مصاب بالتهاب الدماغ. راجع:

Kate Elizabeth Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", (Master's Thesis. University of Calgary: Calgary, Canada, 2013), 83-92. Retrieved from <https://prism.ucalgary.ca. doi:10.11575/PRISM/28034>.

Louise Cilliers, and Francois Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", *Pretoria:Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa*, Vol. 2009, no. sup-3 (2009), 130-7. available@ <https://hdl.handle.net/10520/EJC27080>.

^٢ تعلق Biggs قائلة: إن المرض بالنسبة لهيراكليس كان مجرد أعراض جسدية بحتة، بينما تحول المرض عند آياس من العقل إلى الجسم، وهذا جعل سوفوكليس يقوم باستغلاله في تقنية درامية جديدة.

Penelope Biggs, "The Disease Theme in Sophocles' Ajax, Philoctetes and Trachiniae", *Classical philology* 61, no.4 (1966): 229.

^٣ يرى الأنور أن ما يعاني منه آياس هو غضب إلهي أدى إلى إصابته بالمس الجنوني ، فجاء العقاب الإلهي بهلوس المس الجنوني؛ وذلك يرجع إلى الطيش والغرور وعدم الاعتراف بمعونة الآلهة، هذه كلها تعد طبيعة شخصية آياس التي يتسم بها قبل دخوله المعركة، وهذا ما جعله يصاب بجنون العظمة.

فريد حسن الأنور، "الهرب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، مجلة أوراق كلاسيكية، كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ١٤ (٢٠١٧): ١١١.

ولكن يبدو لي أنه يربط سوفوكليس جنون آياس بلفظ νόσος والذي يعني المرض الجسدي، يؤكد أن آياس مريض بمرض له أعراض جسدية واضحة، ليس عقاب إلهي فقط وليس مسئولية للربة أثينا كاملة عما أصاب آياس وإنما تعتبر أثينا مجرد حافز خارجي فقط.

ومما يؤكد أيضًا مرض آياس، تطلب أثينا من أوديسيوس ألا يخاف شر هذا الرجل، فستقوم بتعمية عينيه عن رؤيته، حيث ستحول بصره فلا يرى مكانه (الأبيات ٦٩-٧٠).

وعندما يظهر أوديسيوس خوفه من آياس، تتدهش أثينا وتساءله (البيت ٨١):
"μεμνηνός ἄνδρα περιφανῶς ὀκνεῖς ἰδεῖν;"
"أخشى أن يرى رجلًا يهذي؟"

ويرد عليها أوديسيوس قائلاً (البيت ٨٢):

"φρονοῦντα γάρ νιν οὐκ ἂν ἐξέστην ὀκνῶ"

"لو كان عاقلًا لما خاف منه."

وهنا توضح التعبيرات الحالة شديدة الخطورة التي وصل إليها آياس جراء نوبة الهوس لدرجة أن يخاف منه أوديسيوس. وتعد الصفة "φρονοῦντα" عاقل ذات مهمة درامية حيث تقف في تناقض مع الصفة "μεμνηνός" مهووس ليرز التغيير الذي حدث في حالة آياس من العقل إلى الجنون.

وفي حوار آخر بين أثينا وأوديسيوس يتضح ما آل إليه آياس، فنقول أثينا (الأبيات ١١٩-١٢٠):

"τούτου τίς ἂν σοι τάνδρὸς ἢ προνούστερος

ἢ δρᾶν ἀμείνων ἡύρεθῃ τὰ καίρια;"

"هل كنت تعرف من هو أكثر حكمة من هذا

الرجل أو من هو أكثر منه قدرة على التصرف السليم؟"

استخدم سوفوكليس هنا التعبير "ἢ προνούστερος ἢ δρᾶν" إما أكثر حكمة أو قدرة، وهو أمر مهم؛ لأن الخط الدرامي يشير إلى التباين بين ما كان لدى آياس من قدرة وحكمة سابقًا مقارنة بحالته الحالية، يلقي هذا التعبير الضوء على سقوط البطل بشكل أكثر قسوة وكيف تم المساس بعقله وقدرته.

ثم يرد عليها أوديسيوس مؤكدًا على حالة آياس التي يشفق عليها قائلاً (الأبيات ١٢١-٢٦):

"ἐγὼ μὲν οὐδέν' οἶδ': ἐποικτίρω δέ νιν
δύστηνον ἔμπας, καίπερ ὄντα δυσμενῇ,
ὁθούνεκ' ἄτη συγκατέζευκται κακῇ,
οὐδὲν τὸ τούτου μάλλον ἢ τοῦμὸν σκοπῶν:
ὁρῶ γὰρ ἡμᾶς οὐδὲν ὄντας ἄλλο πλὴν
εἶδωλ' ὅσοιπερ ζῶμεν ἢ κούφην σκιάν."

"لم أعرف أحدًا مثله. ولكنني أشفق عليه

وعلى ما آل إليه حاله، رغم عداوتي له.

فقد تكالبت عليه المصائب.

من يدري؟ ربما يصيبني يومًا ما أصابه

فإنني أرى أننا لسنا سوى

أطياف، رغم أننا لا نزال على قيد الحياة."

التعبير "ἀτὴν συγκατέζευκται κακῇ" (البيت ١٢٣) يستخدم فيه سوفوكليس الفعل "συγκατέζευκται" الذي يعني حرفياً "يربطون بعضهم ببعض بالإكراه" تعبيراً عن الإرتباط الشديد، يُستخدم- على سبيل المثال- لوصف قيود الزواج، استخدمه سوفوكليس هنا لوصف قيود آياس المرضية، ليؤكد أن آياس لا يستطيع الفرار من مرضه.

أما التعبير "Εἶδωλ'... κούφην σκιάν" "أطيف... رغم أننا لا نزال على قيد الحياة" (البيت ١٢٦) يُظهر عبثية الحياة ويؤكد على الطبيعة المروعة لسقوط آياس. وعلى الرغم من أن آياس لا يزال على قيد الحياة، إلا إن حقيقة حالته العقلية قادتته إلى أن يصبح ظلاً لما كان عليه ذات يوم. لم يعد البطل النابض بالحياة الذي تحكيه القصص الخيالية، بل أصبح رجلاً محطماً.

أما تيكيمسا زوجة آياس، فقد أكدت أيضاً في بداية حديثها أن آياس يعاني من الهوس مثلها مثل باقي شخصيات المأساة، إذا نقول عنه أنه "μανία γὰρ ἀλοῦς" استولى عليه الجنون" (البيت ٢١٦) يمكن ترجمة الفعل على أنه (يُهزم، ويُستولي عليه، يتغلب عليه أو يقع في يد العدو) وكل هذه المعاني تدل على القوة بل والعنف، حيث يتم الفعل المرتكب ضد المتلقي، على عكس إرادته، فقد استخدم سوفوكليس هذا الفعل ليبرر قيام آياس بأعمال العنف أثناء نوبة الهوس التي أصابته دون إرادته بعد أن استولى عليه الهوس وأوقع به . أما الكورس، فحينما تحدث عن آياس صرح بأنه لو كان يمتلك عقله "φρενόθεν" (البيت ١٨٣)، ما كان اندفع بهذه الحدة والعنف لقتل الماشية "ἔβας τόσσον, ἐν ποίμναις πίτνων" (البيت ١٨٥)، ولكن سُلط عليه مرض إلهي "θεία νόσος" (البيت ١٨٦).

وهنا يؤكد الكورس على مرض آياس وأن هذا المرض جعله يفقد عقله، أي أن ما أصابه هو حالة من غياب للعقل، ثم يضيف عبارة أخرى توضح أن الحالة التي وصل إليها ليست وليدة اليوم، ولكنها نتجت عن فترة طويلة سابقة انفرد فيها آياس واختلى بنفسه في خيمته راقداً منعزلاً عن الجميع، فيقول له الكورس (الأبيات ١٩٣-٤):

"ἀλλ' ἄνα ἐξ ἐδράνων, ὅπου μακραίωνι
στηρίξει."

"فلتتهض، يا سيدي، من حيث ترقد منذ أمد طويل مصراً على البعد

عن عناء المعركة."

مراحل المرض لدى آياس:

نوبة الاكتئاب :

يمكن أن تُنبأ العبارة السابقة عن الحالة التي يمر بها آياس، فهي حالة من الحزن والكآبة، تتمثل في انعزال الواقع وقلة النشاط الجسدي والخمول وعدم ممارسة الأعمال التي يمارسها طوال الفترة السابقة.

^١ المصطلح ἀτὴν يعني حماقة- عار- تهور- ذنب - العمى الأخلاقي أو التعتيم العقلي، ويبدو لي هنا أن استخدام سوفوكليس لهذا اللفظ يُقصد به الحال الذي آل إليه آياس من عمى جسدي ووهم عقلي وسلوك متهور، أدى إلى مصير لا يمكن الفرار منه، وعن هذا المصطلح وضح الأثور في مقالته أن آياس حتما سيواجه مصيره المحزن، بسبب حماقته الشريرة وأن الألفاظ (ἀτὴν - κακῇ) تعبر عن حالة الدمار التي وصل إليها آياس نتيجة للإساءة التي ارتكبها، راجع: الأثور، "الهرب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، ١٠٩.

يمكن القول: إن آياس يعاني من نوبة اكتئاب حاد، أصبح على أثرها يفتقر أي اهتمام بكونه قائداً من قواد الجيش اليوناني في حرب طروادة بل، وفقد شغفه بالمعركة، فارق النوم جفونه، هاجمته الأوهام والأفكار السيئة، شعر بالعجز وقلة الحيلة.

فالإكتئاب هو مرض نفسي ينطوي على تكدر المزاج، ويعاني المكتئب خلال نوبة الاكتئاب من الشعور بالحزن والخوف¹، ويرى Pinel أن المكتئب يشعر بالإرهاق بسبب فكرة حصرية يتذكرها بلا نهاية، والتي يبدو أنها تمتص كل قدراته²، ويقول أيضاً Burton أنه من بين الأعراض العديدة للاكتئاب وجود أفكار اضطهادية وغيره، ويشير إلى أن هؤلاء المرضى يمكن أن يكونوا أكثر عنفاً في جميع مخيلاتهم، وغير ودودين في الكلام³، ووفقاً لهذا نجد Biggs يصرح بأن المرض الحقيقي لآياس يعود إلى قضية منح الأسلحة؛ حيث دفع فقدان المجد العظيم طبيعة البطل إلى المنطق المتطرف⁴.

فآياس المثقل بالمعاناة في غياب العدالة- من وجهة نظره - كان عرضة بالفعل للمرض العقلي نتيجة التراكمات النفسية المترتبة على صدمته النفسية الحادة حينما اتفق قادة الإغريق على حرمانه من أسلحة إخيليوس، والتي كانت سبباً في ذلك الارتباك التام الواضح الذي أصابه، فهو بطبيعته يميل إلى قدر معين من التفاخر والاستقلال، لذا صور له عقله أن منح أسلحة إخيليوس لأوديسيوس يرجع إلى مكائد من قادة الإغريق أجاممنون ومينلاؤوس، الذين اعتبروه تابعاً لهم، وليس مساوياً لهم يتمتع بقيادة مستقلة⁵.

عبارة واحدة يمكن أن تدلنا عما أصاب آياس قبل نوبة الهوس، يبدو أن آياس قد عانى بالفعل خلال فترة ليست بقليلة من الكآبة، والتي تُعرف بـ (Melancholia μελαγχολία) وتعني الصفراء السوداء (black bile)⁶، وتسبب هذا الحزن الكثيب في خلق أوهام وأفكار اضطهادية متوهماً أنه ضحية لاضطهاد ممن حوله، فكيف يُظلم ويهان البطل المميز الذي يتفوق على الجميع؟، فهو الوحيد الذي يستحق التقدير دون غيره، كل هذه الأوهام

¹ Robert Burton, *The Anatomy of Melancholy*, trans.D.Minor, (Philadelphia: E.Claxton &Company, 1883), 109.

² Philippe Pinel, *A Treatise on Insanity*, trans.D.D. Davis, (Sheffield: Cadell & Davies, 1806), 136.

³ Burton. *The Anatomy of Melancholy*, 238.

راجع أيضاً أعراض مرض الاكتئاب وفقاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية للجمعية الأمريكية للطب النفسي (٢٠١٣) :DSM

الأعراض الذهنية: الإفراط في الشعور بالذنب أو الندم بصورة غير مناسبة- اليأس من المستقبل - وجود صعوبة في التركيز أو التذكر أو اتخاذ القرار - فقدان الاهتمام في ممارسة الأنشطة المختلفة- أفكار متكررة أو مستمرة عن الموت، أفكار انتحارية، محاولات انتحارية، أو الانتحار.

الأعراض الجسدية: الخمول وفقدان الطاقة - اضطراب النوم- تقلبات الشهية - الشعور بالإرهاق وبالألم أكبر مما هو عليه.

American Psychiatry Association. *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*. DSM-5, 5th ed., (Arlington: American Psychiatric Publishing, Washington: DC London, England, 2013), 160-161.

⁴ Biggs, *The Disease Theme in Sophocles' Ajax*, 226.

⁵ Auden. *The Madness of Ajax*, 506.

⁶ Matthew Bell, *Melancholia: The Western Malady*, (United Kingdom: Cambridge University Press, 2014), 38.

والأفكار هي عوامل نفسية مُهيئة للزيادة في سرعة التأثر خاصة مع الأشخاص التي تعاني من فرط التأثر النفسي، والتي أعتقد أن آياس من بين هؤلاء .

بهذه التراكمات النفسية والحالة الإكتئابية دخل آياس إلى عالم اللاوعي ليحقق ما لم يستطع تحقيقه في واقعه، فقد كان لديه دافع قوي- في نظره- جعله ينفصل عن الواقع الذي يعيشه وصرح به في قوله (البيت ٩٨):

"ὥστ' οὐποτ' Αἶανθ' οἶδ' ἀτιμάσουσ' ἔτι"

"إنهما لن يهينا آياس بعد الآن"

هذه العبارة كفيلة أن تعبر عما يدور بعقل آياس من أفكار اضطهادية التي تمثل وبقوة الدافع والمبرر له لخلق عالم خاص، الذي يتمنى لو كان يعيشه في الواقع^١.

نوبة الهوس:

تسببت حالة الاكتئاب الشديدة التي يمر بها آياس إلى الدخول في نوبة هوس جعلته يفقد إدراكه بالواقع ويقوم بأفعال دون إدارك عقلي لها، فالهوس يمكن أن يتواجد في نفس الوقت مع الاكتئاب، فمرض الهوس الاكتئابي هو في المقام الأول هوس واكتئاب انفعالي، وهو في البداية اكتئاب، إذ إن الأفراد المكتئبين المعانين من الهوس لديهم الطاقة اللازمة لارتكاب أفعال خطيرة من خلال أفكار الاكتئاب من شأنها أن تؤدي بهم إلى الانتحار في النهاية^٢.

إذ يشخص لنا سوفوكليس حالة آياس بعد أن عاد من قتل الماشية معتقداً أنهم قادة الإغريق، ويظهر لنا أعراض النوبة بشكل تفصيلي كالآتي^٣:

^١ يبدي الكورس تعاطفه مع آياس وما ينتظره من أحزان، ويعبر الكورس عن خوفه الكبير بتشبيه أنه مثل العصفور الفزع الذي يريد أن يهرب إلى السماء (الأبيات ١٣٩-٤٠):

πεφόβημαι πτηνῆς ὡς ὄμμα πελείας.

يقول الأئور أن هذا التشبيه هو مشاركة وجدانية من الكورس لآياس للهرب من الواقع المحزن والمستقبل الفظيع الذي ينتظره، راجع: الأئور، "الهرب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، ١١٣.

^٢ Mark W. Dailey, Abdolreza Saadabadi, *Mania* [Updated July 17, 2023], In: StatPearls [Internet], (Treasure Island (FL): StatPearls Publishing, 2025).

available@ <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK493168/> (accessed March, 1, 2025).

^٣ أعراض النوبة الهوسية المتعارف عليها للهوس العقلي وفقاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية للجمعية الأمريكية للطب النفسي (٢٠١٣) DSM، وهي أعراض ذهنية متعارف عليها حديثاً، والتي يتم تشخيصها وفقاً للمعايير التالية في ضوء ثلاثة أو أكثر منها كالتالي: التفكير غير المنطقي- الشعور الزائف بالعظمة- فرط النشاط (هياج)- المبالغة في الابتهاج والنشوة- انخفاض الحاجة إلى النوم- تلاحق الأفكار- التشنث- سوء اتخاذ القرار- وأحياناً يكون مصحوب بأعراض ذهانية صريحة كالتوهم والهالوس.

وأعراض جسدية: قد يؤدي الإجهاد المفرط والتوتر الشديد إلى ارتفاع حرارة الجسم مما يسبب التعرق- أحياناً تكون مستويات الطاقة أعلى من المتوسط فيعاني المريض من الانفعال والأرق- قد تحدث تغيرات في الشهية - قد يحدث زيادة في خفقان القلب ومعدل ضربات القلب ونبض متزايد مما يحدث ارتفاع في ضغط الدم- قد يحدث سرعة في الكلام وتلعثم. راجع:

American Psychiatry Association, *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*, 123-54.

يبدأ سوفوكليس في الكشف عن أعراض النوبة منذ السطر العاشر، أي في بداية المشهد الافتتاحي فتصف أثينا آياس أثناء حديثها مع أوديسيوس، قبل ظهور آياس على المسرح أي قبل أن يراه الجمهور، كالآتي (الآيات ٩-١٠):

"ἔνδον γὰρ ἀνὴρ ἄρτι τυγχάνει, κάρα
στάζων ἰδρῶτι καὶ χέρας ξιφοκτόνους."

"لقد دخل الرجل خيمته منذ لحظات قليلة، ومن رأسه

يتساقط العرق الغزير وبللت قطرات الدماء والعرق يديه."

يعد التعرق أحد الأعراض الجسدية المصاحبة لمريض الهوس في أوقات الذروة من مرضه، فقد يكون الانفعال الشديد والإجهاد المفرط سواء النفسي أو الجسدي، يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم فيُسبب التعرق؛ وقد يرجع سبب فرط التعرق إلى أسباب نفسية نتيجة مشاعر قوية كالغضب أو التوتر الشديد وأيضًا الإجهاد المفرط^١. إذ يصور آياس منهك من التعب جراء عملٍ شاقٍ، وهذا العمل هو فعل قتل لأن الدماء في يديه، حيث يعبر مظهره عن انتهائه من فعل أرهقه نفسيًا وجسديًا لدرجة العرق على رأسه ويداه مصورًا الضغط النفسي والإجهاد العصبي الذي أراد سوفوكليس أن يعبر عنهما منذ السطور الأولى.

تصف تيكميسا ما أصاب زوجها في تلك الليلة المشؤمة، إذ انسحب من القتال، وأصبح متقلب المزاج، وغزت مشاعر الظلم والشك عقله. وأصبح يثير تقلبه المزاجي المتزايد قلقها، فتنتقل ابنهما الصغير إلى مكان آمن، خوفًا منها على إيدائه له أثناء نوبته. أخيرًا، يصل استيائوه إلى ذروته فجأة بعد منتصف الليل وبعد إضفاء قناديل الحراسة الليلية (حسب ما تصف تيكميسا) (الآيات ٢٨٥-٦):

"κεῖνος γὰρ ἄκρας νυκτός, ἥνιχ'
ἔσπεροι λαμπτήρες οὐκέτ' ἦθον."

"قبع منتصف الليل وبعد إضفاء

قناديل الحراسة الليلية."

اضطراب النوم أيضًا من الأعراض المصاحبة لمريض الهوس، فقلة الحاجة للنوم مصحوبة بشعور بزيادة في النشاط الجسدي يعدان من المؤشرات القوية لدخول الشخص في نوبة هوس. فتحكي تيكميسا كيف حاولت تهدئته بإخباره أن المخيم بأكمله نائم ولا أحد يسمع أي بوق يذق ناقوس الخطر. وعندئذٍ استدار إليها بغضب وطلب منها أن تمسك لسانها، واختفى من الباب (البيت ٢٩٣)، وهذا الغضب السريع الغير مبرر هو عرض أيضًا يوضح حالة الانفعال النفسي والاضطراب الذي يعاني من آياس.

ثم يتحرك آياس سريعًا مستوليًا على سيفه واتجه نحو باب خيمته، وخرج متوجهًا لخيم قادة الإغريق، حيث تقول أثينا (البيت ٤٧):

"νύκτωρ ἐφ' ὑμᾶς δόλιος ὀρμᾶται μόνος."

"لقد اتجه صوب خيامكم وحده بهدوء أثناء الليل."

استخدم سوفوكليس هنا كلمة "μόνος" ليؤكد حالة العزلة التي عليها آياس منذ اللحظة الأولى التي شعر فيها بالاضطهاد من قادة الجيش اليوناني، لقد انعزل عن من حوله وعما حوله مؤكدًا رفض الواقع والانفصال عنه^١.

¹ Hyperhidrosis, Mayo Clinic , <https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/hyperhidrosis/symptoms-causes/syc-20367152>, (accessed March. 2. 2025).

وهذا ما أكدّه أوديسيوس أيضا بتكرار كلمة (μόνος) في (الأبيات ٢٩-٣٣):

"καί μοί τις ὀπτήρ αὐτὸν εἰσιδὼν μόνον
πηδῶντα πεδία σὺν νεορράντῳ ξίφει
φράζει τε κἀδήλωσεν: εὐθέως δ' ἐγὼ
κατ' ἵχνος ἄσσω, καὶ τὰ μὲν σημαίνομαι,
τὰ δ' ἐκπέπληγμαι κοῦκ ἔχω μαθεῖν ὅτου."

"لقد سبق ورآه أحد الحراس

وهو يهيم على وجهه بمفرده في الوادي

حاملاً سيفه، وعندما أخبرني بالأمر وأطلعني عليه، انطلقت

في الحال أفقتني أثره. وفي بعض الأحيان

كنت أتعرف على أثر أقدامه، وأحياناً كان يستعصي عليّ ذلك."

أما آياس، فقد كان ظهوره على المسرح له تأثيره في إثبات الحالة المرضية عليه، فقد كان حديثه مع أثينا مليئاً بالإحساس بالعظمة والكبرياء بشكل متطرف يفوق الطبيعي، إذ تحاول أثينا في حوارها معه أن تعرض للجمهور حالة الفخر التي عليها آياس بعد قتل أعدائه (الأبيات ١٠٥-١١٣)؛ فعندما يصر على أسر أوديسيوس "δεσμώτης ἔσω θακεῖ"

"θανεῖν γὰρ αὐτὸν οὐ τί πω θέλω."

فتسأله: ماذا سيصنع به قبل موته؟ وأي منفعة سيحصل عليها من ذلك؟ (البيت ١٠٧):

"πρὶν ἂν τί δράσης ἢ τί κερδάνης πλέον;"

فيرد عليها بكل تفاخر بأنه سيذمي ظهره بالسوط قبل أن يقتله (البيت ١١٠):

"μάστιγι πρῶτον νῶτα φοινηθεὶς θάνη."

وعندما تطلب منه أثينا ألا يعذب هذا الشقي (البيت ١١١):

"μὴ δῆτα τὸν δύστηνον ὧδέ γ' αἰκίσῃ."

فيرد عليها بكل ندية وعناد بأن لها تحياته، ولكنه لن يمتثل لأوامرها (البيت ١١٢):

^١ البطولة الفردية لدى آياس تتوافق مع البطولة الفردية لدى أبطال سوفوكليس بوجه عام (أنتيجوني- أوديبوس- فيلوكتيتس)، أما كلمة μόνος هنا فتتمثل النزعة الفردية، وهي تعني المواجهة الفردية للفرد تجاه المعاناة التي يواجهها والتي تعكس الصراع الداخلي داخل نفس البطل التراجيدي.

وبالمقارنة بين آياس وفيلوكتيتس نجد أن كليهما يتحمل باستقلالية تامة قراره في مواجهة الآخرين ويختار رد فعله الخاص تجاه الظلم الذي يواجهه مما يعزز ويعبر عن استقلالية الفرد ويبرز سمات شخصيته.

ويرى Knox أن النزعة الفردية لدى آياس هي لها مدلول رمزي حيث يمقد آياس في هذه المسرحية بوصفه آخر أبطال الهوميرين ويموته تمت الشخصية الفردية للبطولية الهوميرية القديمة والنزعة الفردية التي كانت لعدة قرون من الحكم الأرستقراطي نموذجاً لنبل الرجل وعمله.

Bernard M. W.Knox, "The Ajax of Sophocles", *Harvard Studies in Classical Philology* 65 (1961): 20-21.

"χαίρειν, Ἀθήνα, τᾶλλ' ἐγὼ σ' ἐφίεμαι."

فهو يرى أنه يجب أن يتلقى أوديسيوس العذاب لإقرار العدالة "ἄλλην δίκην" (البيت ١١٣)، يوضح الحديث السابق مدي تطرف حالة الهوس التي وصل إليها آياس.

وبعد مرور بعض الوقت، عاد مع مجموعة متنوعة من الأسرى-الثيران والأغنام وكلاب الراعية (البيت ٢٩٧)- معتقداً ومتوهمًا أنهم قادة الآغريق والتي شرع في ذبحها في الخيمة، فركض بينهم بسيفه. وعندما استمر هذا لبعض الوقت، اندفع فجأة إلى الظلام، وبدأ في محادثة مع شخص خيالي، يروي كيف كان يدمر أعداءه، وكيف يحتجز منافسه المكروه أوديسيوس مقيداً في الخيمة ومقدراً له تعذيباً خاصاً (الأبيات ٣٠١-٤):

"τέλος δ' ὑπάξας διὰ θυρῶν σκιᾶ τινι
λόγους ἀνέσπα, τοὺς μὲν Ἀτρειδῶν κάτα,
συντιθεὶς γέλων πολύν, τοὺς δ' ἄμφ' Ὀδυσσεῖ,
ὅσῃν κατ' αὐτῶν ὕβριν ἐκτίσσαιτ' ἰών:"

"وفي النهاية، وفجأة، اندفع عبر الأبواب

وهو يوجه السباب لشخص غير موجود سوى في مخيلته،

ولدي أتريوس أحياناً وأوديسيوس أحياناً أخرى،

وهو يمزج السباب بالضحكات."

الهوسة اللفظية السمعية هي أحد الأعراض الأولية لمرض الزهان الذي يصاحب في أغلب الأحيان نوبة الهوس^١، وتعد نوبة الهوس المصاحبة للذهان الأكثر شيوعاً^٢. وتكون عبارة عن تصورات سمعية زائفة تتمثل في سماع أصواتاً تتجادل مع الشخص المريض ويرد عليها، فهي تنشأ عن طريق المخ دون أي حافز خارجي وغرضها فقدان الاتصال بالواقع، وخاصيتها المميزة هي غياب موضوع الإدراك أو غياب التنبيه الواقعي لأعضاء الحس^٣، لكن هذه الإدراكات الزائفة تبدو حقيقية بالنسبة لصاحبها، وغالباً ما تصاحب الهوسة نوبات مزاجية حادة مثل الاكتئاب الشديد أو الهوس ولكنها أكثر شيوعاً أثناء نوبة الهوس^٤.

¹ David B Arciniegas, "Psychosis", *Continuum. Behavioral Neurology and Neuropsychiatry*, 21, no.3 (2015): 715–736. DOI: [10.1212/01.CON.0000466662.89908.e7](https://doi.org/10.1212/01.CON.0000466662.89908.e7).

² Flavie Waters, Daniel Collerton, Dominic H Ffytche, Renaud Jardri, Delphine Pins, Robert Dudley, Jan Dirk Blom, Urs Peter Mosimann, Frank Eperjesi, Stephen Ford, and Frank Laroi, "Visual hallucinations in the psychosis spectrum and comparative information from neurodegenerative disorders and eye disease", *Schizophrenia Bulletin* 40. no.4 (2014): 233–245. doi: [10.1093/schbul/sbu036](https://doi.org/10.1093/schbul/sbu036).

³ Joseph F. Goldberg, Martin Harrow, and Linda S. Grossman, "Course and outcome in bipolar affective disorder", *The American Journal of Psychiatry*, 152 no.3 (1995): 379–384. DOI: [10.1176/ajp.152.3.379](https://doi.org/10.1176/ajp.152.3.379).

⁴ Frederick K. Goodwin, Kay Redfield Jamison, *Manic-Depressive illness: bipolar disorder and recurrent depression*, (New York: Oxford University Press, 2007), 118- 29.

كما أثبتت الدراسات الحديثة أيضًا وجود ارتباط بين الذهان وضعف البصر وخاصة أثناء نوبة الهوس الشديدة^١، فنقول الرية أثينا عنه (الأبيات ٥١-٢):

"ἐγὼ σφ' ἀπείργω, δυσφόρους ἐπ' ὄμμασι
γνώμας βαλοῦσα τῆς ἀνηκέστου χαρᾶς."

"أنا التي منعتة من ذلك. فقد صورت له

خيالات مضللة في العين. خيالات جعلته يبتهج."

فقد تعرض آياس لنوعين من الهلوس: الأول هو الهلوسة السمعية، فيتخيل شخص يتحدث معه غير موجود سوى في مخيلته، والثاني: هو الهلوسة البصرية^٢، والهلوسة البصرية لها أكثر من صورة، فالأولى: يرى صور مضللة في عينيه غير الحقيقية؛ إذ توهمه بأنه يرى - اليونانيين بدلا من الماشية، كما ظهر في حديث الرية أثينا (الأبيات ٥١-٢):

"δυσφόρους ἐπ' ὄμμασι γνώμας βαλοῦσα."

"فقد صورت له خيالات مضللة في العين."

والثانية: تتمثل في نوع آخر من الهلوسة البصرية، حيث تعميه عن رؤية من هم أمامه من اليونانيين، أي حدوث إيهام للعين، فتقوم أثينا أيضًا بعمل تحويل في رؤية العين (البيت ٦٩): "ὄμμάτων ἀποστροφούς". والثالثة تبدو في حديثه مع الرية أثينا، إذ يتضح من الأحداث أنه الوحيد الذي يراها^٣، بينما يقول أوديسيوس في بداية الأحداث أنه لم يراها، ولكن يعرفها من صوتها فقط (البيت ١٥):

"ὥς εὐμαθὲς σου, κὰν ἄποπτος ᾗς ὄμως."

"إنني، رغم عدم رؤيتي لك، أعرف صوتك جيدًا."

يبدو أن الرية أثينا لم تظهر على المسرح بالفعل، ولكن يكتفى سوفوكليس بصوتها ماعدا آياس فيراها ويحدثها، لذا يصرح Biggs قائلاً: إنه تعد قدرة آياس على رؤية الإلهة أثينا واحداً من أعراض جنونه^٤، وهذا قد يعني أن المرض (الجنون) موجود من قبل ما فعلته الرية أثينا وليس نتيجة لفعلتها.

¹ Paul Hammersley, Katherine Taylor, John McGovern, and Peter Kinderman, "Attributions for hallucinations in bipolar affective disorder", *Behavioural and Cognitive Psychotherapy*, Vol. 38 no. 2, 2010: 221- 226. DOI: <https://doi.org/10.1017/S1352465809990592>.

² يعلق Webster عن ما أصاب آياس بأن العيون هي وسيلة التعبير الخارجي عن العقل، فغشاوة عين آياس تعبر عن ضلال عقله الذي حوّلته عن خطته بقتل القواد اليونانيين.

Thomas B. L. Webster, "Some Psychological Terms in Greek Tragedy",

The Journal of Hellenic Studies Vol. 77 . no. 1 (1957): 149. DOI: <https://doi.org/10.2307/628648>

ويؤكد Knox أن آياس بالفعل مجنون، وجنونه كان بسبب الإلهة أثينا، وقد أثر هذا الجنون في رؤيته بصورة أكبر من عقله.

Knox, *The Ajax of Sophocles*, 5.

³ Soph., *Ajax*, 90 ff.

⁴ Biggs, "The Disease Theme in Sophocles' *Ajax*, *Philoctetes* and *Trachiniae*", 224.

وبعد ذلك توضح أثينا أكثر حالة آياس، فرغم أنه مفتوح العينين إلا إنه لا يرى أوديسيوس (البيت ٨٥):

"ἐγὼ σκοτώσω βλέφαρα καὶ δεδορκότα."

"سوف أجعل الظلام يطمس عينيه رغم كونهما مفتوحتين."

ويُعد التعبير "σκοτώσω βλέφαρα" بمعناه الحرفي "سوف أجعل الظلام يطمس عينيه" تعبيرًا قويًا عنيًا يتمشى مع العنف المصاحب لفعل آياس ويتوازن معه، بالإضافة إلى التأكيد على حالة الهلوس التي يعاني منها آياس ستجعله لا يرى بالرغم من عينيه المفتوحتين .

فيرى Goldhill أن إغشاء أثينا لعيون آياس يُعد تشويهاً إلهياً لنظر آياس أثناء جنونه:

¹(a divine distortion of his vision in madness)

ويرى الأتور أن تكرار ضمير المتكلم المفرد ἐγὼ (الآيات ٥١، ٥٩، ٦٩) له أهمية درامية؛ حيث يؤكد مسؤولية أثينا الفردية عن جنون آياس وهلاوسه التي دفعته لارتكاب جريمته المدنسة لشرفه وسمعته^٢.

إن الأوهام والهلوس والتفكير غير المنطقي هي أعراض تساعد في تشخيص نوبة الهوس الشديدة لدى مصابها، ورغم أن سوفوكليس قد أرجع سبب الهوس إلى الغضب الإلهي - كما هو موضح سابقاً - إلا إن هناك عامل داخلي يتمثل فيما تعرض له آياس من ضغوط نفسية، وفي تقديرنا أن العامل النفسي كان موضع اهتمام سوفوكليس الأساسي طوال الأحداث التراجيدية التي اتخذت اسم آياس عنواناً لها.

كظاهرة نفسية مثيرة للاهتمام ومثيرة للشفقة، يخلق مريض الجنون عالم لا يتوافق مع أي واقع خارجي يرفضه، عالم بناه عقله من مواد غير مادية زائفة سواء كان مدركاً لذلك أم لا، فقد صور لنا سوفوكليس هوس آياس في إدراكه الخاطيء للعالم الخارجي، وبيّن آياس عالماً خاصاً به، ولكن هذا العالم لا يتوافق مع الواقع، وعندما تعمل حواسه مرة أخرى بشكل صحيح، ينهار البناء الزائف بأكمله. إن نفاذ سوفوكليس في هذا الوصف للعالم الوهمي أمر مذهل. ومن الناحية النفسية، فإن تفسير سوفوكليس لهوس آياس يفوق أي تصور إذ يستخدم سوفوكليس في بادئ الأمر سبباً خارقاً للطبيعة، ثم يبدأ سلسلة سببية بعد ذلك تظهر مع بقية الأحداث، وتتكشف تدريجياً أنها كانت تسكن داخل عقل آياس^٣.

إذن، فإن آياس لديه من الأسباب ما يجعله يختار عالمه الخاص الذي يهزم فيه أعداءه، هذا العالم جعله يخلق هلاوس وأوهام تساعد في الوصول إلى حالة الرضا والشعور بنشوة النصر على من اضطهده وأهانوه. وقد وصل بالفعل آياس لحالة من السعادة والابتهاج معبراً عنها بالضحكات بصوت عالٍ "συντιθεὶς γέλων πολύν" (البيت ٣٠٣) - كما حكّت تيكيمسا - وكما أشارت أثينا أيضاً لتلك السعادة والابتهاج في حديثها (الآيات ٥١-٢):

"δυσφόρους ἐπ' ὄμμασι
γνώμας βαλοῦσα τῆς ἀνηκέστου χαρᾶς."

"فقد صورت له خيالات مضللة."

¹ Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, 183.

^٢ الأتور، "الهروب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، ١١٢.

³ Ainsworth O'Brien-Moore, *Madness in Ancient Literature*, (Wagner Sohn: Weimar, 1924), 112.

خيالات جعلته يبتهج.

وتؤكد بشكل صريح تيكميسا سعادة آياس في قولها (الأبيات ٢٧١-٣):

"ἀνὴρ ἐκεῖνος, ἡνίκ' ἦν ἐν τῇ νόσῳ,

ἡμᾶς δὲ τοὺς φρονοῦντας ἡνία ξυνών."

"إن ذلك الرجل كان سعيداً - رغم مرضه -

بينما كنا نحن العاقلون نتألم لوجودنا معه."

استخدم هنا سوفوكليس كلمة "νόσῳ" مرض والتي تعني المرض الجسدي، لتقابل كلمة "φρονοῦντας" عاقلون، ومن العجيب أنه رغم المرض يشعر بالسعادة التي غالبا بسبب الأوهام والخيالات التي هيئها له المرض.

يؤكد ذلك ما قالته هنا أيضاً (البيت ٢٧٣):

"αὐτὸς μὲν ἤδεθ' οἷσιν εἴχετ' ἐν κακοῖς."

"كان يتلذذ بالأشياء السيئة التي تمتلئ بها."

تصور العبارة السابقة إلى أي درجة قد وصل التغيير في الحالة العقلية لآياس ضد إرادته، فليس الأمر أنه يريد أن تملأ هذه الصور والرغبات الرهيبة رأسه، بل إنها تأسره بطريقة ما، وتربطه بها، فالفعل "εἴχετ'" يشير إلى امتلاك شخص أو شيء ما.

السعادة التي شعر بها آياس هي أهم أعراض نوبة الهوس، فالمبالغة في الشعور بالبهجة والنشوة إلى جانب تلك الأوهام والهلاوس والخيالات، وتفكير آياس غير المنطقي مع فرط النشاط في خروجه أثناء الليل وعدم نومه وما فعله في تلك الليلة من مجهود كبير وسريع، إذ تحكي تيكميسا ما حدث بترتيب سريع ومتلاحق بشكل رهيب (الأبيات ٢٣٣-٤٤). فتعبر عن حالة التشنج الذهني المتمثل في الانتقال من فعل إلى آخر بسرعة كبيرة والهباج المتمثل في الحركة والعنف والسباب، والحديث الغير مفهوم، ليصور أيضاً التلعثم الذي أصابه من جراء حالة الذهان المصاحبة لنوبة الهوس، فتنتهي حديثها قائلة (الأبيات ٢٤٣-٤):

"κακὰ δεινάζων ῥήμαθ', ἃ δαίμων

κούδεις ἀνδρῶν ἐδίδαξεν."

"وهو يتفوه بسباب لم يعلمه إياه

واحد من البشر بل إله من الآلهة."

الإضطراب ثنائي القطب:

يمكن وصف الحالة المرضية السابقة التي تشمل نوبة اكتئاب مصحوبة بنوبة هوس ذي أعراض ذهانية هو مرض "الاكتئاب الهوسي Manic-depressive illness"، والذي عُرف حديثاً باسم الاضطراب ثنائي القطب، رغم حداثة المصطلح إلا إن وصف أعراضه موجود في الكتابات القديمة¹.

¹ Nemeroff Charles, *The Bipolar Book: History, Neurobiology, And Treatment*, (Oxford: Oxford University Press, 2015), 3-13.

فالاضطراب ثنائي القطب هو اضطراب عقلي يسبب نوباتٍ من (الاكتئاب Melancholy) ونوبات أخرى من الابتهاج غير الطبيعي (الهوس Mania)، تعد نوبات الابتهاج المذكورة ذات أهمية في تشخيص الحالة، وذلك اعتمادًا على شدتها أو إذا كانت مصحوبة بأعراض الذهان، وتسمى بنوبة الهوس. تختلف نوبات الابتهاج غير الطبيعي عن الشعور بالابتهاج في الظروف الاعتيادية، ففي الحالة المرضية يشعر المرء بنشاطٍ غير طبيعي وسعادةٍ وانفعالٍ^١؛ وغالبًا ما يتخذ المريض قرارات متهورة فيه مع القيام في بعض الأحيان بأعمال طائشة وغير مدروسة العواقب^٢. وتتضاعل الحاجة إلى النوم أثناء نوبات الهوس^٣. وقد تشمل أعراض اضطراب ثنائي القطب، بما في ذلك نوبات الاكتئاب، خصائص أخرى مثل: الضيق المصحوب بالقلق والخوف من فقدان السيطرة، السوداوية، الحزن الشديد، فقدان عميق للمتعة، الذهان، عندما تتفصل أفكاره أو مشاعره عن الواقع^٤.

ووفقا لما سبق يمكننا القول: إن آياس مريض بمرض الاكتئاب الهوسي أو الاضطراب ثنائي القطب.

انتهاء نوبة الهوس:

فبمجرد انتهاء فعل قتل آياس للماشية، توضح تيكيمسا ما مر به من انهيار، وتصرح بأن آياس البطل العظيم ذا الكتفين القويين يرقد على الأرض مريضًا بعد أن صرعته عاصفة جعلته مشوش الذهن تأكيدًا منها على مرضه الذهني (الأبيات ٢٠٥-٧):

"νὺν γὰρ ὁ δεινὸς μέγας ὠμοκράτης

Αἴας θολερῶ

κεῖται χειμῶνι νοσήσας."

"إن آياس العظيم المهيب

عريض المنبكين يرقد الآن

مشوش الذهن بسبب نوبة الجنون التي أصابته."

¹ American Psychiatry Association. *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*.123-54.

² Ian M Anderson, Peter M Haddad, and Jan Scott, "Bipolar disorder", *The British Medical Journal* 345: e8508 (2012): 2. doi: <https://doi.org/10.1136/bmj.e8508>. (Published 27 December 2012).

³ Katherine A Kaplan, Allison G Harvey, "Behavioral Treatment of Insomnia in Bipolar Disorder", *American Journal of Psychiatry* 170, no.7 (2013): 31-42. DOI:[10.1176/appi.ajp.2013.12050708](https://doi.org/10.1176/appi.ajp.2013.12050708).

^٤ يمكن تفسير تلك الحالة المرضية لمريض الاضطراب ثنائي القطب كالآتي: أنه عند إصابة شخص بالاكتئاب، قد يشعر بالحزن أو اليأس، ويفقد الاهتمام أو المتعة لمعظم الأنشطة. وعند تحول حالته المزاجية إلى الهوس، قد يشعر بالإثارة والسعادة الشديدة (النشوة)، أو الامتلاء بالطاقة أو سرعة الغضب على نحو غير معتاد، يمكن للهوس أن يلاحظ بمستويات مختلفة من اضطراب المزاج وذلك بشكل يتراوح من الابتهاج الطبيعي إلى الانزعاج والتهيجية. يتضمن العرض الرئيسي للهوس حدوث هياج نفسي حركي؛ كما يمكن للهوس أن يترافق مع هوس العظمة أو تسارع في الكلام أو الاندفاعية. من الممكن أن تؤثر هذه التقلبات المزاجية في النوم والطاقة والنشاط والحكم على الأمور والقدرة على التفكير بوضوح، ربما تحدث نوبات من التقلبات المزاجية بين الاكتئاب والهوس بصورة نادرة أو تتكرر عدة مرات، وقد يصاب المريض بتقلبات مزاجية متكررة بين الاكتئاب والهوس أو بالاكتئاب والهوس في الوقت نفسه بشكل سريع .

Bipolar disorder, *Mayo Clinic*, <https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/bipolar-disorder/symptoms-causes/syc-20355955>. (accessed march, 1, 2025)

American Psychiatry Association, *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*,123-54.

إن الشعور بالتعب والانهيار من العلامات التي تشير إلى الخروج من نوبة الهوس، إذ تصف هنا تيكيمسا آياس وما حدث له من انهيار طرحه على الأرض، كما لو كان شامخًا كالنخلة وأوقعته عاصفة، إذ تلاحظ زوجته أنه مازال مضطربًا، ولكن هذه المرة تذكر الصفة "θολερῶ" لتعبر عن عقله المشوش الذي أفسده المرض، فلا يمكن في حالة آياس هذه تحديد إن كان تشويش عقله، بسبب الاكتئاب أم الهوس أم كليهما.

وهذه الحالة تشبه هدوء ما بعد العاصفة، لذا تعتمد سوفوكليس استخدام كلمة "χειμῶνι" والتي تعني العاصفة، تعبيرًا عن شدة وقوة وعنف ما أطاح بآياس، وأشار له بالكلمة المرفقة للعاصفة وهي "νοσήσας" ليلخص معاناة آياس وكل ما أصابه في مرضه، فلا زال مشوش الذهن حتى بعد انتهاء النوبة التي عانى منها. وهذا ما جعلها تتركه داخل الخيمة، بينما تذهب إلى الخارج لتحكى ما أصابه لبحارته (الكورس)، ويرد عليها قائد الكورس متساءلاً (الأبيات ١٠-٢٠٩):

"τί δ' ἐνήλλακται τῆς ἡμερίας
νῦν ἤδε βάρος;"

"ولكن ماذا تغير هذه الليلة

عن مصائب الأمس ومتاعبه؟"

يؤدي الفعل يُغير "ἐνήλλακται" دورًا مهمًا هنا؛ حيث يعبر عن تغيير حالة آياس من العقلانية إلى الجنون، وتوضح الكلمة وزن ثقيل "βάρος" مدى حدة هذا الجنون وقلقه؛ إذ أن تلك النوبة استطاعت أن تُخرج من عقل آياس الانفعال المكبوت الثقيل داخله، فنوبة الهوس ليست إلا نوع من الانفجار لما هو مكبوت من انفعالات؛ بسبب المعاناة. فترد زوجته عليهم قائلة (الأبيات ٢٠٧-٩):

"οὐκέτι : λαμπρὰς γὰρ ἄτερ στεροπῆς
ἄξας ὁξὺς νότος ὥς λήγει,
καὶ νῦν φρόνιμος νέον ἄλγος ἔχει."

"لقد هداً. مثل رياح الجنوب الهوجاء التي

تسبب البرق والرعد، ولكنها سرعان ما تهدأ، هكذا هداً.

ولكنه، وبعد أن عاد إليه عقله يعاني من ألم جديد."

للمرة الثانية يستخدم سوفوكليس التشبيه ليعبر عما يمر به آياس بوصفه بالرياح الشديدة "νότος" واستخدم هنا ظرف الزمان "οὐκέτι" ليؤكد انتهاء نوبة الهوس فلم تعد مستمرة؛ لأنه هداً "λήγει" واستخدم هذا الفعل ليؤكد أنه هداً بعد انتهاء حالة الهياج التي كان عليها، ولكن في نفس الجملة التي تؤكد أنه عاد إليه عقله "φρόνιμος"، يشير أيضًا إلى ألم جديد "νέον ἄλγος" وكلمة "ἄλγος" تعني الألم الجسدي أو العقلي أو الضغط العصبي، فهل المقصود هنا نوبة هوس جديدة أم نوبة اكتئاب جديدة؟

لذا يصرح قائد الكورس قائلاً (الأبيات ٢٧٩-٨٠):

"πῶς γάρ, εἰ πεπαυμένος
μηδέν τι μᾶλλον ἢ νοσῶν εὐφραίνεται;"

"والا لماذا لا يشعر بالسعادة

مثلما كان في مرضه؟"

يتساءل الكورس للمرة الثانية متعجباً بأنه بعد أن عاد إلى آياس هدوءه وتوقف عن نوبة جنونه "πεπαυμένος"، لماذا يبدو حزين؟ مؤكداً على حالة السعادة "εὐφραίνεται" التي كان عليها أثناء نوبة هوسه. يمكن أن نجيب على سؤال الكورس بما مر به آياس بعد ما استرد وعيه.

استرداد الوعي:

مع مرور الوقت، تقل الإثارة الحركية، ويزول الارتباك لدى آياس، ويأتي إدراك تدريجي لطبيعة أفعاله والعواقب التي ستترتب عليها. ويتبع ذلك حزن عميق، فقد صرحت تيكيمسا بأن آياس سيدها العظيم "ὁ κλεινὸς Αἴας" قد قهره الهوس "μανία ἀλοῦς" (البيت ٢١٧)، فجلب لنفسه العار في هذه الليلة "νύκτερος ἀπελωβήθη" (البيت ٢١٨)، بعد أن نحر ضحاياه وجعلها تسبح في دمها.

يعود بعد ذلك لخيمته ، ونقول تيكيمسا (البيت ٣٠٦):

"ἔμφρων μόλις πὼς ξὺν χρόνῳ καθίσταται."

"وبمرور الوقت عاد إليه صوابه شيئاً فشيئاً."

وهنا بدأ آياس إسترداد وعيه وعقله "ἔμφρων"، وقد تم ذلك على مرحلتين:

المرحلة الأولى حينما استرد وعيه وزالت الغشاوة التي كانت تغطي عيناه (الأبيات ٣٠٧-١١):

"καὶ πλήρες ἄτης ὥς διοπτρεύει στέγος,
παίσας κάρα 'θώϋξεν: ἐν δ' ἐρειπίοις
νεκρῶν ἐρειφθεὶς ἔζετ' ἀρνείου φόνου,
κόμην ἀπρὶξ ὄνυξι συλλαβὼν χερί.
καὶ τὸν μὲν ἦστο πλεῖστον ἄφθογγος χρόνον."

"وعندما وقعت عيناه على الفوضى التي تملأ الخيمة،

انطلق في الصراخ وهوىمسك رأسه بيديه. ثم سقط على الأرض

محطماً وسط بقايا قطعان الماشية التي ذبحها،

وراح يقطع شعره بيديه وهو يصير بأسنانه.

ولمدة طويلة جلس صامتاً بلا حراك."

عاد آياس إلى واقعه، ولكنه وجد ما هو أبشع ينتظره، فإتصدم منه واصطدم به، هذا ما جعل رد فعله في غاية الحدة الانفعالية، حيث يضرب رأسه ثم يبعث صيحة عالية "παίσας κάρα 'θώϋξεν"، ويجلس بين الحملان المذبوحة، وقد أدركه التعب "ἐν δ' ἐρειπίοις νεκρῶν ἐρειφθεὶς ἔζετ' ἀρνείου φόνου"، وينتف شعره

ملء يديه "ὄνυξι συλλαβὼν χερσί" وهو يصصر بأسنانه "κόμην ἀπρίξ"، ثم انتابته حالة من الصمت وقتاً طويلاً "πλειστον ἄφθογγος χρόνον".

ثم تبدأ المرحلة الثانية، فيبدأ في التساؤل عما فعله أثناء غيابه عن وعيه، ويصر أن يعرف تفاصيل ما حدث، فبعد أن انفتحت عيناه انفتح عقله أيضاً، فقام بتهديد زوجته بشكل عنيف ليعرف تفاصيل ما فعله (الأبيات ٣١٢-١٣):

"ἔπειτ' ἔμοι τὰ δεῖν' ἐπηπείλησ' ἔπη,
εἰ μὴ φανοῖην πᾶν τὸ συντυχὸν πάθος."

"وأخيراً وجه إليّ تهديدات رهيبة

إذا لم أخبره بتفاصيل ما حدث."

وعندما يعرف الحقيقة يبعث أنات مهلكة "ἐξὼμωξεν οἰμωγὰς λυγράς"، ولكنه يرى أن الشكوى لا تليق إلا بالجبنا والضعفاء (الأبيات ٣١٩-٢٠):

"πρὸς γὰρ κακοῦ τε καὶ βαρυψύχου γόους,
τοιούσδ' αἰεί ποτ' ἀνδρὸς ἐξηγεῖτ' ἔχειν."

"فقد تربى على أن الصراخ والعيول لا يليق،

سوى بالرجل الجبان ضعيف النفس فقط."

تؤدي التعبيرات الأخيرة دوراً مهماً لتوضيح الحالة النفسية التي آل إليها آياس؛ فقد شعر داخلياً بأنه جبان وضعيف بعد أن كان شجاعاً وقوياً، تدهور سريع وكبير لآياس جعله يمتنع عن الصراخ ليبعث صيحات تشبه أنين الثور (الأبيات ٣٢١-٢٢):

"ἀλλ' ἀψόφητος ὀξέων κωκυμάτων
ὑπεστέναζε ταῦρος ὥς βρυχώμενος."

"ولذلك كان لا يصدر صرخات عالية حادة أبداً

بل كان يئن أنيناً خافتاً مثل أنين الثور."

وقد انتهت حالة آياس بما يلي وفقاً لوصف زوجته (الأبيات ٣٢٣-٦):

"νῦν δ' ἐν τοιᾷδε κείμενος κακῇ τύχῃ

^١ يشير أبقراط إلى التشنجات والهياج أثناء نوبة الهوس، وبخاصة الجز على الأسنان بقوله:

"Ὀδόντας συνερείδειν ἢ πρίειν, ὧ μὴ σύνηθες ἐκ παιδίου, μανικὸν καὶ θανάσιμον· ἦν δὲ παραφρονέων ποιή τοῦτο, παντελῶς ὀλέθριον."

"الجز على الأسنان - بالنسبة لشخص لم تكن لديه هذه كأحدى عاداته منذ الطفولة - علامة على الهوس والموت، وإذا قام شخص مختل بذلك، فهذا نذير شؤم للغاية."

Hippocrates, *Coan Prenotions. Anatomical and Minor Clinical Writings*. Edited and translated by Paul Potter, Loeb Classical Library 509 (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010), Coan Prenotions: 230.

ἄσιτος ἀνὴρ, ἄποτος, ἐν μέσοις βοτοῖς
σιδηροκμήσιν ἥσυχος θακεῖ πεσών.
καὶ δηλὸς ἐστὶν ὥς τι δρασεῖων κακόν."

"وهو الآن يرقد وسط الدمار الذي أحدثته يداه

رافضا الطعام والشراب، بعد أن سقط

بلا حراك وسط الماشية التي ذبحها بسيفه."

فقد سقط راقداً على الأرض ساكناً "κέϊμενος...ἥσυχος θακεῖ πεσών" بين الغنم المكبلّة، يرفض الشراب والطعام "ἄσιτος ἀνὴρ, ἄποτος".

يبدو أن آياس قد أصابه الجنون، هذا تعليق الكورس على حديث تيكميسا (البيت ٣٣٢):

"τὸν ἄνδρα διαπεφοιβάσθαι κακοῖς."

"فقد دُفع الرجل إلى الجنون بأحزانه."

تعبّر كلمة "διαπεφοιβάσθαι" وهي فعل مضارع التام أنه تم دفعه إلى الجنون؛ لأن الفعل مبني للمجهول أي أنه تم بواسطة آخر وليس بإرادته، فقد أصيب بالجنون دون إرادته، مما دفعه إلى التورط في عمل شائن يسيء إلى سمعته وبطولته ويخجله بين الناس.

وتعبّر الجملة السابقة عن حالة من الجنون تختلف عن ما أصابه سابقاً، وقد مهد الكورس لها حينما أشار إلى معاناة آياس من ألم جديد (البيت ٢٥٩).

نوبة جديدة بألم جديد مما هو مسبوق، يشعر آياس بمعاناة تفوق الاحتمال البشري فقد عاد إليه عقله ليجد نفسه وسط ماشية مذبوحة بيده، فيبدأ في حالة من الهياج والانفعال الزائد الذي عبر عنه بالصراخ وضرب الرأس وشد الشعر والجز على الأسنان ثم يصمت لوقت طويل. يعقب هذا الصمت حالة من الأتنين المعبر عن الألم الداخلي والمعاناة والحزن العميق، ثم يسقط على الأرض ويرقد بلا حركة ويمتنع عن الطعام والشراب.

حالة تمتزج بين الصراخ مع الهياج والانفعال ثم الأتنين مع السقوط والسكون، يمكن أن توصف تلك الحالة طبيياً بأنها نوبة مختلطة بالإضطراب ثنائي القطب^١، فالنوبة المختلطة هي حالة تظهر فيها خصائص فريدة لكل من

^١ تتضمن الأعراض الاكتئابية المرتبطة بالهوس في النوبة المختلطة مزاجاً مضطرباً وقلقاً وإحساساً مفرطاً بالذنب ورغبة في الانتحار.

Frederick Cassidy, Elizabeth Murry, Kara Forest, and Bernard J. Carroll, "Signs and symptoms of mania in pure and mixed Episodes", *Journal of Affective Disorders*, 50, no. 2-3 (1998): 189. DOI: [10.1016/s0165-0327\(98\)00016-0](https://doi.org/10.1016/s0165-0327(98)00016-0)

بينما أعراض الهوس في النوبة المختلطة تتضمن شدة الاكتئاب والقلق، مع هياج أكثر حدة وسرعة إنفعال وضعف إدراكي.

Alan C. Swann, Steven K. Secunda, Martin M. Katz, Jack Croughan, Charles L. Bowden, Stephen H. Koslow, Nancy Berman, and Peter E. Stokes, "Specificity of mixed affective states: clinical comparison of dysphoric mania and agitated depression", *Journal of Affective Disorders* 28, no.2 (1993): 84. DOI: [10.1016/0165-0327\(93\)90036-j](https://doi.org/10.1016/0165-0327(93)90036-j).

الاكتئاب والهوس، مثل نوبات اليأس، والألم، والغضب، والتفكير في القتل، أو الانتحار، والأفكار المتسارعة، وضغط النشاط، والتهيج المتزايد، وهذه تحدث إما بشكل متزامن أو في تتابع قصير جدًا^١.

النوبة المختلطة:

تعد الحالات المختلطة عمومًا ذات خطورة مرتفعة فيما يتعلق بالميل نحو الانتحار؛ لأن المشاعر الاكتئابية مثل فقدان الأمل تكون مترافقة مع مشاكل في ضبط المشاعر الاندفاعية. فيمكن لاضطرابات القلق أن تُرافق بشكل متكرر النوبات المختلطة للاضطراب ثنائي القطب وتكون مرتبطة بزيادة التوتر وشدة التأثير^٢.

نبدأ بالهوس في الحالة المختلطة لآياس الذي أصيب بهياج وغضب وصراخ، فالهوس لا يعني فقط نوبات الابتهاج غير الطبيعي أو غير المعتاد، وإنما هو عبارة عن نوبات من الحالة المزاجية غير الطبيعية سواء من الابتهاج أو الانفعال، بغض النظر عن مدتها وعدد مرات تكرارها^٣، فالهوس مرض قد يصف حالة الغضب العارم التي قد تتتاب المرء أحيانًا فيفقد معها القدرة على إعمال المنطق، والتفكير المعتدل، والتصرف المعتدل وتحل محل هذا كله نوبة من العنف أو الأوهام^٤.

ففي أول ظهور لآياس بعد هلاوس جنونه وجريمته، يوضح آياس اضطرابه في محاولة للهروب من واقعه، حيث يدخل مرة ثانية في الهلاوس؛ فيرى موجًا يثير عاصفة دامية، فيضطرب عن يمينه وشماله ومن حوله (الأبيات ٣٥١-٢):

"ἴδεσθέ μ' οἷον ἄρτι κῶμα φοινίας ὑπὸ ζάλης
ἀμφίδρομον κυκλεῖται."

ربما يشبه آياس هنا حالته بمثل هذه الموجة المضطربة، ويكمن أهمية التشبيه هنا أنه يؤدي وظيفة درامية مهمة حيث يوضح حالة الاكتئاب النفسي التي تحبس آياس وتأسره؛ فالمعاناة والمهانة يحيطونه من جميع الجهات ولا يجد وسيلة للخلاص من هذه القيود النفسية إلا الموت.

ويعلق قائد الكورس على اضطراب آياس والهلاوس التي يراها أن هذا دليل واضح على أنه يعمل بصورة غير عقلانية (البيت ٣٥٥):

"δηλοῖ δὲ τοῦργον ὡς ἀφροντίστως ἔχει."

"ومن الواضح أنه مازال مضطرب العقل."

¹ Chi-Hua Chen , John Suckling, Belinda R Lennox, Cinly Ooi, Ed T Bullmore, "A quantitative meta-analysis of fMRI studies in bipolar disorder", *Bipolar Disorders* 13, no.1 (2011): 1-15. [doi:10.1111/j.1399-5618.2011.00893.x](https://doi.org/10.1111/j.1399-5618.2011.00893.x).

² Giacomo Salvatore, Jorge A Quiroz, Rodrigo Machado-Vieira, Ioline D Henter, Hussein K Manji, Carlos A Zarate Jr, "The neurobiology of the switch process in bipolar disorder", *The Journal of Clinical Psychiatry* 71, no.11 (2010): 1488-1501. [doi:10.4088/JCP.09r05259gre](https://doi.org/10.4088/JCP.09r05259gre).

³ حنان يوسف، سماح راشد، "الهوس بين التراث الطبي القديم والحديث أبقراط وكلسوس أنموذجًا"، ٣٣٨.

⁴ Mark Dailey, Abdolreza Saadabadi, *Mania*, (Treasure Island (FL): StatPearls Publishing 2023) <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK493168/> (accessed March, 2, 2025).

فمشكلة آياس الواضحة هي اضطراب عقله، وتغيراته السريعة في مزاجه التي تكشف عن افتقاره الشديد إلى التوازن، ومن ثمَّ فمن الممكن أن يقوم بأفعال غير منطقية.

إذ يطلق آياس مرتين صيحات عالية "μαῖ μοι μοι ἰὼ" (الأبيات ٣٣٣، ٣٣٦)، ثم يعلق الكورس قائلاً (الأبيات ٣٣٧-٨):

"ἀνὴρ ἔοικεν ἢ νοσεῖν ἢ τοῖς πάλαι
νοσήμασιν ξυνοῦσι λυπεῖσθαι παρών."

"إما أنه مازال مجنوناً، أو أنه

لا يستطع تحمل البقاء وسط الفوضى التي أحدثتها يداه."

فإما مجنون/ مهووس أو مكتئب لا يستطع التحمل، أعتقد أن كليهما صائب، فهو يعاني بالفعل ولا يستطع التحمل.

ورغم أنه بدا في نظر الكورس في كامل قواه العقلية "ἀνὴρ φρονεῖν ἔοικεν" (البيت ٣٤٤)، إلا إنه طلب منهم ذبحه "ἀλλά μεσυνδάϊξον" (البيت ٣٦١)، وهذه تعد المرة الأولى التي يفكر فيها في الموت، ولكنه بدا عليه غضب غير مبرر حينما استدار إلى زوجته ونهرها رداً على نداءها اللطيف، ورد عليها بغضب (البيت ٣٦٩):

"οὐκ ἐκτός; οὐκ ἄψορρον ἐκνεμεῖ πόδα;"

"ألم تخرجي بعد؟ ألن تغربي عن وجهي؟"

أما الإكتئاب، فقد كان في صورة نوبة إكتئاب عظمى استمرت مع آياس حتى فارق الحياة، فمنذ إدراك آياس لما حدث إمتنع عن الصراخ واكتفى بالأنين تعبيراً عن الحزن العميق الذي يشعر به، وامتنع أيضاً عن الشراب والطعام، وفارق عينه النوم نهائياً، وبدا شعوره باليأس يسيطر عليه كليةً، وبعد أن يرفض الكورس قتل (ذبح) آياس، يفكر آياس في الموت للمرة الثانية؛ عله يخلصه من واقعه، فهو على استعداد الموت ولكن بعد أن يقتل أبناء أترئوس وأوديسيوس الذي يصفه بأنه العدو الحقيق للناس جميعاً (البيت ٣٨٧)، ولكن زوجته تحاول التأثير عليه لكي يتراجع عن تفكيره المدمر في الموت، فتطلب منه أن يتمنى لها الموت أيضاً معه. ويرد آياس على زوجته باضطراب شديد ليوضح حالة الاكتئاب التي يعاني منها، ورغبته الشديدة في الموت؛ لأنه الملجأ الوحيد للهرب من الواقع الأليم الذي يعيشه (الأبيات ٣٩٤-٤٠٢). ففي البداية يصرخ بأن الظلام أصبح نوراً في الجحيم "σκότος, ἐμὸν φῶς," (الأبيات ٣٩٥-٦)، فهو الدار والمستقر المضيء لكائن مثله (الأبيات ٤٩٦-٨):

"ὦ φαεννότατον, ὥς ἐμοί,

ἔλεσθ' ἔλεσθέ μ' οἰκήτορα,

ἔλεσθέ μ'."

"إنني أعتبرك ضوء الخلاص بالنسبة لي،

فلتأخذني، فلتأخذني لأقيم بين جبناتك."

يدفع الاضطراب في حالة آياس النفسية إلى تقدير الأشياء بصورة مغلوبة؛ فظلام الجحيم، أصبح بالنسبة له مستقراً مضيئاً يخلصه من مهانة البشر والآلهة؛ فقد أصبحت رؤيته مظلمة، ومن ثمَّ رأى أن طريقه المنير هو

الموت في ظلام الجحيم. وتكرار تعبير آياس "ἔλεσθ' ἐμὲ" ثلاث مرات، مخاطبًا ظلام الجحيم أن يستقبله، له دوره الدرامي المهم في توضيح إصرار آياس على الموت^١، ثم يتساءل آياس (الأبيات ٤٠٣-٤٠٤):

"ποῖ τις οὖν φύγη;

ποῖ μολὼν μενῶ;"

"إلى من يمكنني اللجوء؟

والى أي مكان أهرب حيث أستقر؟"

ويؤدي هذا التساؤل دورًا مهمًا في توضيح حالة اليأس التي يمر بها آياس في اكتتابه؛ حيث يوضح الدافع الجوهري للانتحار، ألا وهو الهرب من الواقع القاسي الذي يعيشه؛ فأياس ينتابه القلق النفسي واليأس من المستقبل؛ حيث لم يجد شخصًا يلجأ إليه، ولا مكانًا يذهب إليه، بل ولا يعلم ماذا يفعل؟ فيتساءل للمرة الثالثة (البيت ٤٥٧):

"νῦν τί χρὴ δρᾶν;"

"والآن ماذا عساي أن أفعل؟"

يقول أيضًا (الأبيات ٤٥٧-٤٥٩):

"ὅστις ἐμφανῶς θεοῖς

ἐχθαίρομαι, μισεῖ δέ μ' Ἑλλήνων στρατός,

ἔχθει δὲ Τροία πάσα καὶ πεδία τάδε."

"إذ يبدو أن الآلهة تعاديني،

والجيش الإغريقي بكامله يكرهني،

بينما تقف طروادة بسهولة الفسيحة موقفًا عدائيًا ضدي."

فحالة العزلة التي يعيشها جعلته يشعر كأن جميع الآلهة والبشر تكرهه، ولن يستطيع أن يعود إلى وطنه "πότερα πρὸς οἴκου" (البيت ٤٦٠)، حيث يتساءل للمرة الرابعة (الأبيات ٤٦٣-٤٦٤):

"καὶ ποῖον ὄμμα πατρὶ δηλώσω φανεῖς

Τελαμῶνι;"

"ولكن بأي وجه أستطيع الظهور أمام

والدي تيلامون؟"

فليس هناك ملجأ أو أرض أو شخص يمكن أن يلجأ له آياس في يأسه، كل هذه التساؤلات تلعب دورًا مهمًا لتوضح حالة الحيرة واليأس التي انتابت آياس؛ ثم يواصل آياس تفكيره اليأس في الموت للمرة الثالثة، فيفكر في الموت الانتحاري هربًا من واقعه الشائن؛ حيث يبدي رغبته في الذهاب إلى طروادة (الأبيات ٤٦٦-٤٦٨):

"ἀλλὰ δῆτ' ἰὼν

^١ الأثور، "الهرب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، ١١٩.

πρὸς ἔρρυμα Τρώων, ξυμπεσὼν μόνος μόνους
καὶ δρῶν τι χρηστόν, εἶτα λοίσθιον θάνω;"

"هل أتجه إلى

مدينة طروادة الحصينة وأشتبك معهم وحدي في قتال

ضار، وبعد أن أبلي بلاءًا حسنًا، أموت في النهاية؟"

ويؤدي تكرار الصفة (μόνος وحيد) وظيفة مهمة، مؤكدة حالة العزلة التي يعيشها آياس في مواجهة واقعه الأليم فهو بمفرده حتى النهاية، كما كان في بداية الأمر بمفرده أيضًا^١.

كل ما سبق يوضح حالة اليأس والحزن والتفكير في الموت بكافة الطرق ليصور لنا سوفوكليس الحالة النفسية التي يمر بها آياس، وقد أنهى الكورس حديث آياس بأغنية طويلة حزينة على ما أصاب آياس وحزنهم عليه، ولكن استوقفتني كلمة واحدة لخصت حالة آياس، ألا وهي "φρενομόρως" (البيت ٦٢٧)، هذه الكلمة قوية ومعبرة للغاية، فهي تعني حرفيًا "تدمير العقل"^٢، وتضيف ثقلًا إلى ما حل بآياس من معاناة، يرى Simon أنها لم تظهر إلا عند سوفوكليس، وهذا يشير إلى أنه ربما اخترع سوفوكليس هذه الكلمة خصيصًا لوصف ما يمر به بطل مأساته بشكل مناسب^٣.

التعافي المبكر:

بعد مرور القليل من الوقت، يظهر آياس مرة أخرى ويظهر موقفًا ذهنيًا متغيرًا تمامًا. يبدو أنه لم يعد يفكر في الانتحار ويبدو أنه يتقبل الواقع، ويصرح بأنه ينوي البحث عن التطهير المادي والروحي لأفعاله من خلال اغتسال طقسي. ويشعر بتغيير داخلي حقيقي وأنه تعلم درس الحكمة (الأبيات ٦٤٥-٩)، وأنه في المستقبل، سيحترم الآلهة ويعيش في صداقة مع أعدائه السابقين (الأبيات ٦٦٦-٨):

"τοιγὰρ τὸ λοιπὸν εἰσόμεσθα μὲν θεοῖς
εἴκειν, μαθησόμεσθα δ' Ἀτρεΐδας σέβειν."

"ولذلك، فمن الآن وصاعدًا، سوف أتعلم

الخضوع للآلهة واحترام ولدي أتريوس."

نلاحظ في حديث آياس أمام الكورس أنه يتكلم عن المستقبل وعن نيته ورغبته في الحياة، حتى زوجته أيضًا عاملها بكل حنان ولطف، على الرغم من أنه يظهر انفعاليًا غير معقول تجاه التباطؤ الظاهري للخادم الذي أرسل لإحضار ابنه الصغير إليه من المكان الذي أرسلته إليه والدته من أجل الأمان.

فنجده يقول لزوجته في لهجة حنون (الأبيات ٦٨٤-٥):

^١ قارن استخدام الصفة μόνος مع (البيت ٤٧).

^٢ Henry George Liddell & Robert Scott, *A Greek-English Lexicon*, rev. and aug. by H. S. Jones, R. McKenzie, (Oxford: Clarendon Press, 1940), 700.

^٣ Charlotte Simon, "Signs in Sophocles: Modern Approaches to PTSD in the Ajax", (Honors Theses, 591, Bucknell University, 2022), 31. https://digitalcommons.bucknell.edu/honors_theses/591

"σὺ δὲ

ἔσω θεοῖς ἐλθοῦσα διὰ τάχους, γύναι,
εὖχου τελεῖσθαι τοῦμὸν ὧν ἐρᾷ κέαρ."

"فلتدخلي الخيمة الآن، يا زوجتي الحبيبة، وتضرعي للآلهة

أن تحقق لي كل ما يتمناه قلبي ويرغب فيه."

وينهي آياس حديثه قائلاً (الأبيات ٦٩٠-٩٢):

"ἐγὼ γὰρ εἰμ' ἐκεῖσ' ὅποι πορευτέον:
ὕμεῖς δ' ἂ φράζω δρᾶτε, καὶ τάχ' ἂν μ' ἴσως
πύθοισθε, κεῖ νῦν δυστυχῶ, σεσωσμένον."

"أما أنا فسوف أذهب إلى حيث يجب علي الذهاب.

فلتفعلوا ما طلبته منكم، فقد تسمعون

عما قريب أنني، أنا المسكين، قد وجدت السكينة أخيراً."

هذه العبارة تتبأ عن ما ينوي عليه آياس، وتشير إلى فعل الانتحار، ولكن بطريقة غير مباشرة؛ لأن العبارة تحمل معنيين المعنى الأول ممكن أن يعني التطهير وعليه سيرتاح ويشعر بالسكينة والمعنى الثاني يشير إلى انتقاله للعالم الآخر وهناك سينتهي متاعبه ويشعر بالسكينة. ومن المؤكد أن الكورس تقبل كلمات آياس كما هي، ويعبرون عن ارتياحهم وفرحتهم قائلين (البيت ٧٠١):

"νῦν γὰρ ἐμοὶ μέλει χορεῦσαι."

"فحبذا لو رقصت من شدة الفرح."

وتشير إلى فرحتهم باستعادة توازنه العقلي (البيت ٧١٠):

"ὅτ' Αἴας λαθίπονος πάλιν."

"لقد نسي آياس معاناته."

يمكن وصف حالة آياس الآن على أنها مرحلة التعافي واستعادة الطاقة، ولكن للأسف هذا التعافي المبكر يحمل في طياته مخاطر عالية للانتحار، فالطاقة والدافع المتزايدان اللذان يأتيان مع تخفيف الاكتئاب، يزيدان من احتمالية قيام المرضى بالتصرف بناءً على دوافعهم الإنتحارية، إن فترات التعافي تشكل خطورة خاصة، حيث تظل الرغبة في الإنتحار موجودة ولم تعد طاقة المريض مشلولة، لذا ينبغي التعامل بحذر بين عودة العقل وبين نوع من المكر الذي يمكن للمرضى بالاضطراب العقلي من التحدث والتصرف بشكل صحيح لفترة قصيرة، وبالتالي خداع مراقبيهم¹.

¹ Vikrant Mittal, Walter A Brown, Edward Shorter, " Are Patients With Depression at Heightened Risk of Suicide as They Begin to Recover ?", *Psychiatric Services* 60, no.3 (2009): 384-386. doi: [10.1176/ps.2009.60.3.384](https://doi.org/10.1176/ps.2009.60.3.384)

يقول Kraepelin أنه في وقت التعافي، يحدث نشاط معين جنباً إلى جنب مع اكتئاب الحالة المزاجية، ويصبح المرضى أكثر خطورة على أنفسهم، على الرغم من أن حالتهم تبدو أفضل بكثير مقارنة بعمق الاكتئاب¹.

بينما تحدى Schweizer فكرة أن المراحل المبكرة من التعافي من الاكتئاب تأتي مع زيادة قابلية الانتحار، فبعد التطبيق على بعض المرضى الذين يعانون من نوبات هوس وجيزة في وقت مبكر ثم يتحول سريعاً إلى الدخول في نوبة اكتئاب، يعقب ذلك انتحار بعد فترة وجيزة من التحول. وأكد أن تقلب المزاج، مع ما ينطوي عليه من خطر الانتحار، هو تفسير أكثر معقولة وبناءً على ذلك، حذر من الانتباه إلى تاريخ الهوس وتشخيص الاضطراب ثنائي القطب².

ما قاله Schweizer هو ما ينطبق على حالة آياس بالظبط، فيمكننا الآن افتراض مرور اثنتي عشرة ساعة تقريباً بين هذا المشهد والمشهد التالي. ومع حلول الليل، أصابت آياس نوبة أخرى من الاكتئاب الشديد، وتم العثور عليه في مكان منعزل بجانب شاطئ البحر عند الفجر، سقط على سيفه ومات بيده. وفي الوقت نفسه، لاحظ البحارة غيابه عن الخيمة، فبحثوا في الظلام، ينادون بعضهم البعض في الضوء الخافت لفشلهم في العثور على زعيمهم المفقود، حتى دعاهم صرخة من زوجته إلى المكان الذي يرقد فيه جسده، والدم لا يزال يتدفق من الجرح في صدره (البيت ٨٩٨). لقد بدأ الفجر للتو والموت لم يحدث إلا مؤخراً، في الوقت الذي تم اختياره للانتحار، كان سوفوكليس يتبع القصة الأسطورية، ولكن هذا في حد ذاته قد يكون مبنياً على حقيقة مؤكدة جيداً من خلال التشخيص المرضي للاكتئاب، وهي أن ساعات الصباح الأولى يكون الاكتئاب العقلي في أشد مراحل حدة، فيكون الانتحار أكثر شيوعاً³.

من المؤكد أن آياس كان مريض بالاكتئاب الشديد (ميلانخولي) وهذا ما صوره سوفوكليس طوال الأحداث الدرامية، حتى في اختياره لتوقيت إنتحار آياس لم يفوته التأكيد على ذلك، فالأكتئاب الميلانخولي هو أكثر من أنواع الاكتئاب الأخرى حدة، حيث يكون الاكتئاب في أشد حالاته في الصباح الباكر، ووفقاً لهذا يبدو أن آياس قد عانى في الساعات الأولى من الصباح من نوبة اكتئاب عظمى لجأ على أثرها إلى إنهاء حياته، لم يخبرنا سوفوكليس بما مر به آياس لحظة الانتحار ولكنه أنبأنا عن الوصول إلى قمة اليأس والاكتئاب تمهيداً لتلك اللحظة.

ينقل لنا Berrios ما قاله الطبيب النفسي Kraepelin أن عملية الانتكاسة التي تحدث للجسم كافية لتحويل حالة المريض لحالة مزاجية حزينة أو قلقية⁴. وهذا النوع هو من أشد حالات الاكتئاب التي يعاني منها مريض الاكتئاب.

¹ Emil Kraepelin, *Psychiatry: A Textbook for Students and Physicians*, 5th German edition, (Leipzig: Barth, 1896), 130.

² Edward Schweizer, Alan Dever, Cathryn Clary, "Suicide upon recovery from depression : a clinical note", *Journal of Nervous and Mental Disease* 176, no.10 (1988): 633–636. doi: 10.1097/00005053-198810000-00009.

³ Depression (major depressive disorder), *Mayo Clinic Press*, <https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/depression/diagnosis-treatment/drc-20356013>

⁴ German E. Berrios, *The History of Mental Symptoms, descriptive psychopathology since the nineteenth century*, (New York, NY: USA Cambridge University Press, New York, 1996), 311.

الخاتمة:

تمثل هذه المأساة نقلة نوعية فريدة من التصور التقليدي للمرض العقلي إلى التحليل النفسي والذهني للدوافع التي أدت إلى إصابة المريض بالمرض العقلي، فرغم تمسك سوفوكليس بالحفاظ على المؤثر الخارجي للمرض العقلي والذي يتمثل في التدخل الإلهي، إلا إنه أبدع في استغلال أسطورة آياس وما تحويها من مساحة تسمح له بالخوض في تفاصيل المرض العقلي ليصور لنا ببراعة الطبيب النفسي تفاصيل معاناة مريض الاكتئاب الشديد الذي يصاب بنوبة هوسية تتسبب في تفاقم حالته المرضية ليصاب بمرض أشد وهو الاكتئاب الهوسي الذي سمي حديثاً بمرض الاضطراب ثنائي القطب.

يمكن تلخيص مراحل مرض اضطراب ثنائي القطب لدى آياس كالتالي: نوبة اكتئاب وكانت أعراضها - كما صورها سوفوكليس - بالترتيب التالي: (العزلة - رفض الواقع - نوبة الاكتئاب - قلة النشاط الحركي - الإحساس بالعظمة - التوهم - أفكار اضطهادية)، ثم الدخول في نوبة الهوس وكانت أعراضها (قلة الحاجة للنوم - انفصاله عن الواقع وإنزاله عن المحيطين - التعرق - الهلوس والأوهام البصرية - الابتهاج الشديد والضحكات العالية - التشويش - تشتت الذهن - الهياج - النشاط المفرط).

ثم الإفاقة واستعادة الوعي التي تمثلت في (إنهاء نوبة الهوس - الهدوء - استرداد الوعي - العودة إلى الواقع)، وتسببت الإفاقة في الدخول في نوبة مختلطة التي ظهرت أعراضها على آياس كالتالي (صرخة عالية - التعب والإرهاق - ضرب الرأس - جز الأسنان - شد الشعر - الصمت لفترة طويلة - التهديد لمعرفة ما حدث - صراخ - أنين - الامتناع عن الطعام والشراب - شرود الذهن - الأفكار التشاؤمية واليأس - الأفكار الانتحارية والتفكير في الموت)، وتسبب الجمع بين الهوس والاكتئاب معاً في تناوب قصير لدى آياس دخوله في نوبة اكتئاب عظمى تسببت على إثرها لجوئه إلى الانتحار بسبب وصوله لأقصى درجات الاكتئاب.

رحلة مرضية قصيرة خلال الليلة الأخيرة من حياة آياس، ولكن رغم قصر المدة، إلا أنها تحمل وصف لمعاناة كبيرة وصفها لنا سوفوكليس كطبيب ماهر حاول أن يلم بكافة التفاصيل والأعراض التي توضح أن آياس قد عانى معاناة بطولية تستحق أن نقدرها ونتعاطف معها، مزج سوفوكليس بين سمات البطولة التراجيدية وبين ما عاصره من تغير في وصف الأمراض العقلية ليصل ببطله آياس إلى قمة المعاناة التراجيدية التي تحقق المغزي التراجيدي عن جدارة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - القواميس والموسوعات:

Liddell, H. George, and Scott. *A Greek-English Lexicon*. rev. and aug. by H. S. Jones, R. McKenzie, Oxford: Clarendon Press, 1940.

ثانياً - المصادر الأجنبية:

Hippocrates. *Affections, Diseases 1, Diseases 2*. Translated by Paul Potter, Loeb Classical Library 472, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.

Hippocrates. *Coan Prenotions, Anatomical and Minor Clinical Writings*. Edited and translated by Paul Potter, Loeb Classical Library 509, Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010.

Hippocrates. *Prognostic, Regimen in Acute Diseases, The Sacred Disease, The Art, Breaths, Law, Decorum, Physician(Ch. 1), Dentition*. Translated by W.H.S. Jones, Loeb Classical Library 148, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923.

Sophocles. *Ajax, Electra & Oedipus Tyrannus*. Edited and translated by Hugh Lloyd-Jones, Loeb Classical Library 20, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994.

Sophocles. *Electra and Other Plays Ajax, Electra, Women of Trachis Philoctetes*. Translated by E. F. Watling, Penguin Classics. no. L28, London: Penguin, 1953.

ثالثاً - المراجع العربية:

حنان السيد يوسف، سماح السيد راشد، "الهوس بين التراث الطبي القديم والحديث أبقرات وكلسوس أنموذجاً"، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، عدد ٢٨ (٢٠٢٣): ٣٣٣-٣٥٤.

Ḥanān al-Sayyid Yūsuf, Samāḥ al-Sayyid Rāshid, "alhws bayna al-Turāth al-ṭibbī al-qadīm wa-al-ḥadīth Abuqrāt wklsws unamūdhajan", Majallat al-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-adabīyah, 'adad 28 (2023) : 333-354.

سوفوكليس، آياس، ترجمة منيرة كروان: القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨.

Sophocles, āyās, tarjamat Munīrah Karawān: al-Qāhirah, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, 2008.

فريد حسن الأنور، "الهروب من الواقع بين جنون العظمة والانتحار في مسرحية آياس لسوفوكليس"، مجلة أوراق كلاسيكية، كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ١٤ (٢٠١٧): ١٠٥-١٥٣.

Farīd Ḥasan al-Anwar, "al-ḥarb min al-wāqī' bayna Junūn al-‘Aẓmah wālānthār fī masrahīyah āyās lswfwklys", *Majallat Awraq klāsykyh*, Kullīyat al-Ādāb Jāmi‘at al-Qāhirah, ‘adad 14 (2017) : 105-153.

رابعًا - المراجع الأجنبية:

American Psychiatry Association. *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*. DSM-5, 5th ed., Arlington: American Psychiatric Publishing, Washington: DC London, England, 2013.

Anderson, Ian M., Peter, and Jan, "Bipolar disorder", *The British Medical Journal* 345: e8508 (2012): 1-10. [doi: https://doi.org/10.1136/bmj.e8508](https://doi.org/10.1136/bmj.e8508). (Published 27 December 2012).

Arciniegas, David B., "Psychosis", *Continuum Behavioral Neurology and Neuropsychiatry*, Vol.21,no.3(2015):715–736.
[doi: 10.1212/01.CON.0000466662.89908.e7](https://doi.org/10.1212/01.CON.0000466662.89908.e7).

Auden, George Augustus, "The Madness of Ajax, as conceived by Sophocles Clinically Considered", *British Journal of Psychiatry*, [Volume72, no. 299](https://doi.org/10.1192/bjp.72.299.503) (1926): 503 – 512.
[doi: https://doi.org/10.1192/bjp.72.299.503](https://doi.org/10.1192/bjp.72.299.503).

Balzer, Wolfgang and Alexandros, "A Reconstruction of the Hippocratic Humoral Theory of Health", *Journal for General Philosophy of Science* 22 (1991).

Bán, Katalin, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", *Graeco- Latina Brunensia* (2019): 5-16. <https://doi.org/10.5817/GLB2019-1-1> (accessed 23, June,2022). <https://hdl.handle.net/11222.digilib/141155>.

Bell, Matthew. *Melancholia. The Western Malady*, United Kingdom: Cambridge University Press, 2014.

Berrios, German E. *The History of Mental Symptoms, descriptive psychopathology since the nineteenth century*. New York, NY: USA Cambridge University Press, New York,1996.

Biggs, Penelope, "The Disease Theme in Sophocles' Ajax, Philoctetes and Trachiniae", *Classical philology* vol. 61, no.4 (1966): 223-35.

Bockler, Donald, "Let's Play Doctor: Medical Rounds in Ancient Greece", *The American Biology Teacher*, Vol.60, no.2 (1998): 106-111.

Burton, Robert. *The Anatomy of Melancholy*. trans. D.Minor, Philadelphia: E.Claxton &Company, 1883.

- Cartledge, Paul. *The Cambridge Illustrated History of Ancient Greece*. Cambridge, Cambridge University Press, 1998.
- Cassidy, Frederick, Elizabeth, Kara, and Bernard, "Signs and symptoms of mania in pure and mixed Episodes", *Journal of Affective Disorders*, vol.50, no.2-3 (1998):187-201. DOI: [10.1016/s0165-0327\(98\)00016-0](https://doi.org/10.1016/s0165-0327(98)00016-0).
- Charles, Nemeroff. *The Bipolar Book: History, Neurobiology, And Treatment*. Oxford: Oxford University Press, 2015.
- Chen, Chi-Hua, John, Belinda, Cinly, and Ed, "A quantitative meta-analysis of fMRI studies in bipolar disorder", *Bipolar Disorders*, vol.13, no.1 (2011): 1–15. [doi:10.1111/j.1399-5618.2011.00893.x](https://doi.org/10.1111/j.1399-5618.2011.00893.x).
- Cilliers, Louise, and Francois, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", *Pretoria:Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa*, Vol. 2009, no. sup-3 (2009), 130-7.
available@ <https://hdl.handle.net/10520/EJC27080>.
- Compton, Michael T., "The Union of Religion and Health in Ancient Asklepieia", *Journal of Religion and Health*, vol.37, no.4 (1998), 301-312.
- Dailey, Mark W., and Abdolreza, *Mania* [Updated July 17, 2023], In: StatPearls [Internet], Treasure Island (FL): StatPearls Publishing. 2023. available@ <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK493168/> (accessed March, 1, 2025).
- Goldberg, Joseph F., Martin, and Linda, "Course and outcome in bipolar affective disorder", *The American Journal of Psychiatry*, 152, no.3 (1995): 379–384. DOI: [10.1176/ajp.152.3.379](https://doi.org/10.1176/ajp.152.3.379).
- Golder, Herbert, Peter, and Alan. *The Complete Sophocles, Introduction, Volume II: Electra and Other Plays*. Oxford; New York : Oxford University Press, 2010.
- Goldhill, Simon. *Reading Greek Tragedy*. New York: Cambridge University Press, 1986.
- Goodwin, Frederick K. and Kay. *Manic-Depressive illness: bipolar disorder and recurrent depression*. New York: Oxford University Press, 2007.
- Hammersley, Paul, Katherine, John, and Peter, "Attributions for hallucinations in bipolar affective disorder", *Behavioural and Cognitive Psychotherapy*, Vol. 38 no. 2, 2010): 221 – 226. [doi: https://doi.org/10.1017/S1352465809990592](https://doi.org/10.1017/S1352465809990592).

Harsh, Philip Whaley. *A Handbook of Classical Drama*. Stanford, CA: Stanford University Press, 1944.

https://digitalcommons.bucknell.edu/honors_theses/591

Kaplan, Katherine A., and Allison, "Behavioral Treatment of Insomnia in Bipolar Disorder", *American Journal of Psychiatry* 170, no.7 (2013): 31–42.

DOI:[10.1176/appi.ajp.2013.12050708](https://doi.org/10.1176/appi.ajp.2013.12050708).

Knox, Bernard M.W. "The Ajax of Sophocles", *Harvard Studies in Classical Philology*, vol.65 (1961): 1-37.

Kraepelin, Emil. *Psychiatry: A Textbook for Students and Physicians*. 5th German edition, Leipzig: Barth, 1896.

Mittal, Vikrant, Walter, and Edward, "Are Patients With Depression at Heightened Risk of Suicide as They Begin to Recover ?", *Psychiatric Services*, vol.60, no.3 (2009): 384–386. doi: [10.1176/ps.2009.60.3.384](https://doi.org/10.1176/ps.2009.60.3.384).

Nutton, Vivian. *Ancient medicine*. London: Routledge, 1998.

O'Brien-Moore, Ainsworth. *Madness in Ancient Literature*. Wagner Sohn: Weimar, 1924.

Pinel, Philippe. *A Treatise on Insanity*. trans.D.D.Davis, Sheffield: Cadell & Davies, 1806.

Salvadore, Giacomo, Jorge, Rodrigo, Ioline, Hussein, and Carlos, "The neurobiology of the switch process in bipolar disorder", *The Journal of Clinical Psychiatry*, vol.71, no.11 (2010): 1488–1501. doi:[10.4088/JCP.09r05259gre](https://doi.org/10.4088/JCP.09r05259gre).

Schweizer Edward, Alan, Cathryn, "Suicide upon recovery from depression : a clinical note", *Journal of Nervous and Mental Disease*, vol.176, no.10 (1988): 633–636. doi: [10.1097/00005053-198810000-00009](https://doi.org/10.1097/00005053-198810000-00009).

Swann, Alan C., Steven, Martin, Jack, Charles, Stephen, Nancy, and Peter, "Specificity of mixed affective states: clinical comparison of dysphoric mania and agitated depression", *Journal of Affective Disorders*, vol.28, no.2(1993): 81–89. DOI: [10.1016/0165-0327\(93\)90036-j](https://doi.org/10.1016/0165-0327(93)90036-j).

Theodorou, Zena, "Subject to emotion: exploring madness in Orestes", *Classical Quarterly* vol.43, no.1 (1993): 32-3.

Thomas B. L.Webster, "Some Psychological Terms in Greek Tragedy", *The Journal of Hellenic Studies* Vol77 . no 1 (1957).DOI: <https://doi.org/10.2307/628648>.

Tsagkaris, Christos and Konstantinos, "The Hippocratic Account of Mental Health:Humors and Human Temperament", *Mental Health: Global Challenges Journal* 3, no.1(2020): 33–37. DOI:10.32437/mhgcj.v3i1.83.

Waters, Flavie, Daniel, Dominic, Renaud, Delphine, Robert, Jan Dirk, Urs Peter, Frank, Stephen, and Frank,"Visual hallucinations in the psychosis spectrum and comparative information from neurodegenerative disorders and eye disease", *Schizophrenia Bulletin* 40. no.4 (2014): 233–245. doi: [10.1093/schbul/sbu036](https://doi.org/10.1093/schbul/sbu036).

خامساً - أطروحات الماجستير والدكتوراة:

Murphy, Kate Elizabeth, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", Master's thesis, University of Calgary: Calgary, Canada, 2013.

Retrieved from <https://prism.ucalgary.ca>. doi:10.11575/PRISM/28034.

Simon, Charlotte. "Signs in Sophocles: Modern Approaches to PTSD in the Ajax", Honors Thesis, 591, Bucknell University, 2022.

سادساً - المواقع الإلكترونية:

Bipolar disorder, *Mayo Clinic*, <https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/bipolar-disorder/symptoms-causes/syc-20355955>.(accessed march, 1, 2025).

Depression (major depressive disorder),*Mayo Clinic*, <https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/depression/diagnosis-treatment/drc-20356013>. (accessed march, 8, 2025).

Hyperhidrosis, *Mayo Clinic*, <https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/hyperhidrosis/symptoms-causes/syc-20367152>. (accessed March, 2, 2025).